كتاب الشهر 16 سلسلة شراع

من أجل مجتمع
مغربي قارئ

10 دراهم

عودة حي بن يقظان

المهدي بن عبود



« من اجـل مجتمع مغـربي قـارئ »

« ليس لزاما على بلد متخلف .. أن يملك ثقافة متخلفة ! » .

التعليم و البـؤس الثقافي

في مجتـمع يرزح تحت مظاهر البؤس الاقـتـصادي والثـقافي .. تـصبح المسا ءلة حسـاسـة ومحـرجة ، بخصوص كيفية طرح الأزمات المتشابكة ومعالجتها . فدرجة التعقد التي أصبحت عليها معطيات المشهد العام للحياة المجتمعية ، لاتدعو فقط إلى مراجعة شاملة للمنطلقات المنفلتة في التسيير والتدبير والإختيار .. بقدر ماتدعو أيضا إلى تمحيص عملية المراجعة نفسها ، كعملية ذاتية تلتبس في

مضمارها الضرورة بالإمكان ، والواقع بالإرادة ..

وباعتماد " منطق المقابلة " بين إمكان الإرادة وانفتاحها من جهة ، وضرورة الواقع وعمى حتميته من جهة أخرى - أي مقابلة ماهو كائن بماهو مطلوب - يبرز مدى الثقل الذي تكتسيه عملية المراجعة ، بوصفها تدخلا ذاتيا مشروطا بمجمل العناصر والوقائع الموضوعية التي تستدعي التقويم والتعديل ..

- « ليس لزاما على بلد متخلف .. أن يملك ثقافة متخلفة ! »

إنها مقولة مستهلكة ، ولكنها - على كل حال - تقربنا بشكل أفضل من أهمية الوثوق في القدرات والإمكانات الذاتية وسط جملة من العوائق والمثبطات .. كما أنها تجعلنا أمام صيغة واضحة من تلك المقابلة بين الإستعدادات الإرادية والشروط المادية والموضوعية .

* * *

من أثقل المعضلات تفاقما في مجتمعنا ، تلك التي تتعلق بالجانب الثقافي ، والتي تجد مؤشراتها الدالة في نسب الأمية والتعليم والتنشيط الفكري والعلمي ..

- « تعليم درامي ، غير عادل .. في قطيعة مع واقع

المرحلة .»

إنه تصريح وصفي لواقع التعليم .. صدر عن وزير التربية الوطنية أثناء الندوة الصحفية السنوية ، بمناسبة إفتتاح الموسم الدراسي 96 - 1997 . والبيانات التفسيرية والتبريرية ، لاتعوز الوزارة في " تعليل " هذا الواقع ، إنطلاقا من حيث وجب الإنطلاق دوما في الماضي ، حتى تتيسر مهمة إبراز (المنجزات) ، والتخفيف من هول (الإخفاقات) ، لمواساة النفس والإستئناس بتدني جودة ومردودية نظامنا التعليمي .

فغداة الإستقلال ، كان على النظام التربوي المغربي ، أن يستجيب لحاجيات 4.559.000 تلميذا ، بعدما كان عددهم لايتجاوز 450.000 سنة 1956 . ومابين 1965 و 1996 ، ارتفع عدد طلاب التعليم العالي من 6.500 إلى 252.000 .

إنه انتصار (المنجزات) .. ضداً على موقعها المقابل للسقوط والتدهور !

يبدو أن " منطق المقابلة " ، الذي نستطيع عبره تلمس مدى حضور المسؤولية في الإختيارات ، لم يكن من وراء اكتشاف الوزارة لما يفوق 7.000 منصبا في ميزانيتها

ـ التي تأخذ 25 ٪ من الميزانية العامة ـ مخصصا لأناس لاعلاقة لهم بالوزارة .

فأي مراجعة يستطيع المسؤولون افتراضها في مثل هذا " التعليم " ، الذي هو بحاجة ـ حسب تعبير الأستاذ رشيد بلمختار ـ إلى مزيد من الوقت للتفكير في « إنجاز نظام فعال يتيح إمكانية رفع المجانية وإزالتها » ؟!

لقد أصبحت " آليات المراجعة " نفسها بحاجة إلى " المراجعة " ، أملا في إنقاذ الشحنة الدلالية لهذه الكلمة . ولايتعلق الأمر بجانب محدد كسياسة التعليم أو مايرتبط بها من كتب مدرسية ومقررات تربوية .. بقدر مايتجاوز ذلك لاستدعاء " مراجعة شاملة " ، تجد سندها في شمولية المعضلات التي تأسر المجتمع برمته ، وتجعل الفرد والجماعة يسبحان في محيط من الشك ، الذي يستبعد أية مساءلة ـ ولو خجولة ـ في مقابلة المنطلق بالمصير ● .

« وكالة شراع »

عودة حي بن يقظان

(الجزء الأول)

بقلم :

المهدي بن عبود

لوحة الغلاف :

عبد السلام ربوح

كتاب الشهر 16 سلسلة شراع

« الدنيا مليئة بالنيام الواقفين ، يتجولون ولا يبصرون . »

إستدارة الزمان

استدار الزمان دورة مظلمة ، فهل من نور بعد الظلام ؟

استدار الزمان دورة مقدرة ، لا مكررة ؛ إذ لا يتشابه زمانان كما لا تتشابه وجوه الناس إلا نادرا ، استدار لصياغة إنسانية جديدة .

استدار لاستئصال الخبث ، وإقتلاع الفساد في البر والبحر ، وفسح المجال لعودة الأبرار ، وإظهار الأخيار على الأشرار بتجديد الأفكار ، فالحق ثابت ، والخلق فائت ،

والباطل يزهق بكثرة الخبث نفسه ، يدمر نفسه بنفسه ؛ يحفر أقوامه قبورهم بأيديهم بعد مرض طويل من الفوضى العامة .

استدار الزمان ، لاستبدال قوم بقوم لا يكونون أمثالهم ، فلا يستبدل خبث بخبث حتى في تسليط ظالم على ظالم بما كانوا يكسبون . عكرت يد الإنسان صفو مجرى الأيام ، فاستدار الزمان حول رحى الأحداث الطاحنة ، فجزاء الخير في مجرد فعل الخير ، وعقاب الشر في مجرد الإقدام عليه ، ورحى الدهر تطحن القوم الفاسقين ، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم على وجه البسيطة ، وسحب الضلال تغلف وجه الأرض بلا إستثناء .

استدار الزمان ، لإرجاع المياه إلى مجاريها ، والقلوب إلى صفاء فطرتها ، والعقول إلى صواب حكمها ، والأبصار إلى ضوء أنظارها ، والبصائر إلى تنوير القلوب وتفتح عيونها ، والأمانة إلى مستقيم صراطها ، والإنسانية إلى سامي غاياتها .

استدار الزمان ، وهبت رياح تمييز الخبيث من الطيب ، والغفلة من اليقظة ، والنوم من الصحوة ، فالدنيا مليئة بالنيام الواقفين يتجولون ولا يبصرون ، يقودهم ضباب الهوى

إلى المجازر ، ويسوقهم طغيان الغرور إلى المذابح ، والجهل المستبد إلى الهاوية المظلمة .

استدار الزمان ، لدفع طائفة ظاهرين على الحق للقيام بما تواتر عليه الحنفاء الأطهار عبر العصور . ولا تترك الحكمة العليا فراغا في الوجود إلا ملأته بشعاع من نور ، يشهده المقربون كبذرة لإنسانية المستقبل .

استدار الزمان ، لتعبئة الأرواح الخيرة . فالناس كل يوم يرذلون ، ويكذبون على أنفسهم بظنونهم أنهم كل يوم يصعدون . ما اجتمع في زمان من الأزمان ما تفرق عند الغابرين من المفاسد والشرور ، مثلما اجتمع في جاهلية الجاهليات العجوز الكبرى ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، يردون أسفل سافلين ، ويدعون أنهم يرتقون إلى أعلى عليين ، من جراء عمى القلوب في غفلة عن جمال الوجود وبديع الصنع وعجائب الأكوان ؛ وطمس البصيرة رغم إتقان الصناعات ، وضجيج الأسواق دليل تمام الضلال .

البشر ينتج ويستهلك ، والبقر ينتج ويستهلك ، ولافرق بينهما ، كما أنه لا فرق في هذه الأحوال بين المدينة والإسطبل ، ثم تأتي الحروب ، فيدفع بالجميع إلى المجزرة ،

ثم إلى المقبـرة في كـفن الغـفلة والضـلالة وأوهام العـدم .
فـفكرة العـدم هي العـدم بعـينه ، إذ ليس هناك شيء مـعـدوم إلا العدم نفسه .

استـدار الزمـان ، لتبديد غـيوم أسـراب وأشـباح الظنون ، وفقـاقيع الشعـارات لتبرير الظلم والعدوان على النفس وعلى الغير .

استدار الزمان ، دورته العـارمـة تدفـعـها صـواعق الفـوضى الشـاملة ، النابعـة من قـطع الصلة بين الحق والخلق ، فـوضى عامة أرضية :

- فوضى الأرواح ، بالفراغ اللاهب والظلام القاتم .
- فوضى القلوب ، بالرين المتراكم والزيغ البعيد .
- فوضى العقول ، بقلب الحقائق والموازين والمعايير .
- فـوضى الأفـكار ، بالسـطحـيـة والبـعـد عن المعنى والحكمة .
- فوضى الكلام ، بكثرة اللغو وزخرف القول ، لتدور رحى الكلام .
- فـوضـى الحركـات في الأسـواق ، والملاهي ، والملاعب والمدن .
- فـوضى النفـوس ، بإنتـشـار العداوة والبـغـضـاء والخـوف

والعنف .

لقد عكر الإنسان صفو نهر الأيام ، بإعراضه عن ذكر الحق . فألقى به العدل الكامن بين الدقائق والثواني في هاوية ضنك المعيشة ، ولو كان الناس يتمرغون في الذهب والفضة ؛ ذلك أن الفسوق من طبائع الجهال ، وشيم المعتدين ، وفساد المترفين . فكان التدمير بعد التعمير ، وينتظرهم في آخر المطاف جزاء بما كانوا يفعلون .

وما إسناد الأمر إلى غير أهله إلا دليل على الفوضى الجاهلة الشاملة على وجه البسيطة . والإنسانية كلها ترزح تحت نير الظلم والظلام التوأمين ، فأصبح كل إنسان جزيرة عن مماثلاتها في غربة وكربة ، وعكرت يد الإنسان صفو الهواء الطلق النوراني المنبثق من نور السماوات والأرض ، وأخل بالأمانة ، لأنه كان ظلوما جهولا ، ونسي العهود والمواثيق بين الحق والخلق ، ولم يجد له عزما . فانقلب عليه الزمان ونفذ فيه حكم القصاص ، وتعرى من لباس التقوى ، فلم يعد قادرا على الشعور بالوجود الحق ، يسير وعورته من قلة الحياء ، شأن سائر البهائم بلا ستر ولا خجل ولا شرف .

استدار الزمان في هذه الأحوال لرجوع الإنسان القهقري من :

- حالة العلم والبراءة إلى :

ـ حالة المعرفة والجدل ، ثم إلى :

ـ حالة الإختلاف والبغض ، ثم إلى :

ـ حالة الفوضى الكبرى المظلمة العارمة ، منزلقا دون رجعة من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ؛ فهل من منقذ ؟

لذلك استدار الزمان كعادته بعد كل حول من أيام الله المديدة ، لمعارضة التعفن الشامل من جراء كثرة الخبث وإندلاع نار الفساد .

وما دورته هذه إلا آية من آيات حفظ التوازن في الأكوان ، وأثر من آثار يد الرحمان فوق أيدي المخلوقات كلها .

دورة تقويم المعوج ، وإصلاح الفاسد ، وإحباط المفسدين في الأرض ، إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وإثبات النافع ، وإذهاب الزبد ، وتنصيب المكب على وجهه حتى يمشي سويا على صراط مستقيم .

دورة تنبيه وإرشاد ، وزجر وإنتقام ، ونذر وتبشير ، كما بدأ الخلق يعاد في الحال والمآل عاجلا وآجلا .

• المبدأ الأعظم

ما ظهر الفساد في البر والبحر إلا بتشويه الإنسان لنفسه ؛ خلق في أحسن تقويم على صراط مستقيم ، فانقلب خصيما للحق ، فحق عليه القول بالتدمير كأن لم يغن

بالأمس .

الإنسان مفطور على الإعتصام بمبدإ مهما كان نورانيا أو ظلمانيا .

1 ـ مبدأ رباني : تابع لإدارة الكون ، ولربوبيته البادية للعقل السليم .

2 ـ مبدأ شيطاني : قائم على جنون الكبر ، والغرور بعبادة النفس والهوى .

3 ـ مبدأ وثني : بعبادة الغير من تعاسة عبدة الدينار والدرهم ، إلى ذلة عبادة الغير على إختلاف الأوثان وكثرتها قديمة كانت أو جديدة .

كل ضلالة غفلة وجهل ونسيان ، تقود إلى عبادة الأغيار والأشياء . ولذلك انقضت يد الزمان على القوم الغافلين ، تلهب ظهورهم بسياط الشدائد والفتن والحروب ، والقهر والضيم والظلم والعدوان ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، حتى يقتنعوا ويستيقنوا بعد بأس الحديد ولهيب النار ، بأن ما أصابك من سيئة ، فمن نفسك . والكل من عند الله بنظامه المحكم ، يتبع الشر شرا ، والخير خيرا جزاء وفاقا ؛ وحتى يعترفوا آخر الأمر بحتمية حمل الأمانة ، مفتاح الخلاص من العمه والسراب ، والظنون والمدلهمات ، والشرور والجهالات ، ودوام الفتن المزمنة تتفجر كالبراكين .

اقتضت المشيئة العليا تدبير الأرض بمقتضى قوانين السماء والأرض ، لإفراغ حلة النور القدسي على وجه الحياة وسير الأمور بحسب السنن الثابتة .

فما يستدير الزمان إلا لإستبدال قوم تذهب ريحهم فاسقين ، وخلق أقوام يحبون الحق ويحبهم ، لرضاهم عنه ورضاي عنهم ودمغ الباطل .

كل ما يجري على وجه الأرض ، يخضع للعامل المهيمن الرباني والعامل المهل الزماني بمقتضى مشيئة العامل المهيمن ، والعامل الإنساني بحسب حسن إختياره أو سوء تدبيره ، ليجني ما قدمت يداه بما كسبت واكتسبت .

وما إستدارة الزمان إلا حمل للرحمة السابقة الأزلية ، لإحياء الإنسانية الظالمة لنفسها وخلاصها من موتها البطيء ، وإنقاذ النوع الآدمي من الإنتحار ، ولشفاء القلوب من عمى البصيرة ، وإرجاع السمع للآذان ، وصياغة الأفئدة من جديد في قالب الأنوار الربانية والروحانية والقلبية والذوقية ، وفتح نافذة الهواء الطلق النقي : نافذة العلم النافع العامل والعمل الصالح العالم ، مع إخلاص النية ، وصدق التوجه ، وصلاح القصد ، وصواب المعرفة ، ونور العقل والوحي معا . ●

« الرجعية ، هي النزول من مستوى الإنسان إلى مستوى البهائم . »

جاهلية الجاهليات

انتهى حي بن يقظان من مناجاة الحق إثر فلق الصبح ، ثم التفت نحو أسال قائلا :

عندما يريد الله أن يعلي شأن أمة ، فبسلامة عقلها ، ونور قلبها ، وقوة إرادتها ، ومتين عزمها في دائرة الحق المطلق مع نور البصيرة وقوة العزم .

وعندما يريد الله أن يدمر أمة ، فباضطراب عقلها ، ومرض قلبها ، وضعف إرادتها وعزمها . ولا علاج لها إلا بالرجوع إلى صواب التفكير ، وإستقامة السلوك ، وتعلق

الهمة بالحق ، وقوة العزم في طريق الحق .

كل معرفة صادقة ليس لها شكل رسالة إرتقاء وعروج وصبغة الخلود ، فهي معرفة لا فائدة فيها ، تنتهي مع أصحابها في التراب والعبث . وسرعان ما تذهب ريح أصحابها ، كما يلاحظ في عصر الإستهتارات .

لا فائدة من طول التفكير دون تعمير وإصلاح ، وقرب من الحق في خدمة الخلق ، ليصدع العاقل اللبيب بما يأمره الحق لا الهوى .

إن تسريح الأنظار في الأكوان ، وتعميق الأبصار في النفوس ، والجمع بينهما في نظرة شاملة إلى الوجود علما وعملا ، هو الصراط المستقيم لربط الصلة بين الوقت والخلود، والمخلوق والخالق في حياة نور وبهاء .

إن تفسير الوجود ، وحسن إستعمال العقل والإرادة لطاعة الحق فيه ، يقتضي الجمع بين النظر والممارسة في كل وقت وحين . وليس من المعقول إدخار الحقائق دون تطبيق مع الجماعة شأن البخيل الفقير في صندوق الذهب .

كل حياة هجرة ، فلابد أن تكون لدار الحق في الأرض والسماء .

فلقد ابتعدنا عن القرية الظالم أهلها ، باضطراب

عقولهم ، وعمى قلوبهم ، وطغيان أهوائهم جهلا وظلما وكبرا وغرورا ، شأن الأخسرين أعمالا .

ولكن الأكوان لم تخلق عبثا وباطلا ، ولم يترك الإنسان فيها سدى ، ولم يكن صنع العوالم لعبا ، بل الغاية هي إتباع الحق ، ونصرة الحق بالحق لا بالباطل ، ولا يجوز التخلي إلا عن سوء التفكير والسلوك .

لهذا كله ، لابد من العودة إلى القرية الظالم أهلها ، لإيقاظ الهمم والمساهمة في علاج أدوائها العقلية والقلبية ، دون يأس أو تقاعس .

لقد تورط الناس في رحى جديدة ، جرت أذيالهم إلى الدرك الأسفل من الجهل المركب المغرور . وهذه الرحى ، هي رحى الكلام : أي اللغو المنظم . فزاد ذلك الطين بلة في تخدير الهمم ، وطمس البصيرة ، وغلبة الشياطين على الفكر المريض ، يسوقونه إلى ظلمات بعضها فوق بعض .

غير أن العدل الساري في الوجود ، يقضم ظهر المفسدين في الأرض حينا بعد حين ، محافظة على التوازن ، حتى لا يكون هناك في خلق الرحمان من تفاوت ، والناس بين مخالب الحروب والفتن بما كسبت أيديهم .

ومن جملة التقديرات العليا ، مساهمة الأوفياء لإصلاح

الفسوق ، تخفيفا من عقاب الأخذ والتدمير . وإذن ، لا مفر من أن نلقي دلونا بين الدلاء ، وأن نعود إلى التعاون الجماعي حبا في الحق لخير الإنسانية الواهمة .

لكل عصر جاهلية على شاكلة أصحابها ، وأسوأها الجاهلية الشاملة ، غير أن الأخسرين أعمالا يزين لهم الشيطان أعمالهم ، ببهرجة الظاهر وخراب الباطن ، إلى حد تكوين جاهلية شاملة ، تجمع مساوئ سائر الجاهليات السابقة .

لقد تقدمت الآلات فيها وتأخرت النفوس إلى أن عم النكد والقلق . حتى أصبح من الممكن القول : إن أرقى الناس أشقاهم ، وإن العالم ينقسم إلى قسمين :

- قسم متخلف ماديا ومعنويا ، فلا هو بمتاع الدنيا ولا هو بخير الآخرة ، نظرا للحساب والعقاب .

- وقسم ينعم بمتاع الدنيا ، ولكن الفوضى الشاملة تخرب باطنه بالأزمات النفسية والإجتماعية والإقتصادية والأخلاقية والدولية ، سواء في السلم المسلح ، أو إندلاع نار الحروب ، والتنافس على العجل الذهبي ، والميوعة السلوكية والإباحية ، وقلب الحقائق والمفاهيم والأوضاع . الشيء الذي يدفع بهم إلى التفكك والمخدرات والمسكرات

والأوبئة ، حتى طفح الإنتاج الفكري ، الأدبي والفلسفي بالهم والغم ، وحتى صاح بعض حكمائهم صيحة الغارق ، يطلب النجدة من أوحال الهمجية المتحضرة في زعمهم .

فهل يرضى العاقل بإظهار الباطل على الحق ، يا أخي أسال ؟

ألم تكن النصيحة فرضا من الحق نحو الخلق كلهم ؟

النصيحة صدق التوجه بالحق إلى الخلق ، كمطابقة الباطن للظاهر والظاهر للباطن ، دون تصنع أو تحايل ، أو رياء أو نفاق ، أو كيد أو تلبيس .

إن النفس النورانية لا تنسى أنها شعاع من نفس كلية واحدة ، هي نفس الإنسانية ، وبعلمها هذا ، تفيض بمشاعر الخير والجمال والحب للبشرية جمعاء ، كحنين الرضيع لدفء حنان الأم بحرارة صدرها .

وعليه ، أليس من عميق الأسى والأسف أن يخرب الجنس البشري بيوتهم بأيديهم ؟ يسارعون إلى الطاغوت منحدرين من كرامة الإنسان إلى بهيمية الحيوان . الحق بيِّن والباطل بيِّن ، عند من حافظ على المعقولات العليا فوق المحسوسات السفلى .

إن قلب التفكير رأسا على عقب أصل إنهيار الأمم ، وما

يسمى تجاوزا بالحضارات . وهي لفظة من خداع العناوين من بين سلسلة طويلة من أخواتها .

الحضارة عندهم أوج الرقي والتقدم ، وماهي في الواقع إلا بداية النهاية ، بخراب الباطن في مجتمع تقدمت فيه الآلات وتأخرت النفوس ، إلى حد الميوعة والتفاني في سوء الأذواق ، وفساد التفكير ، ومرض القلوب ، وتشويه الجمال ، وطمس البصيرة ، ونسيان النفس ، وقتل الأرواح في مستنقعات الفواحش . وأفول نجمها وتدهور مجتمعاتها ، واضح في تفكك الجماعة ، وتفسخ السلوك ومطلق النسيان لحمل الأمانة القدسية بمعرفة الحق والعمل به .

إن سلسلة الأزمات ، ماهي إلا جملة أعراض مرضية لشيخوخة الحضارة المحتضرة .

ولا يجمل بعاقل أن لا يرفع صوت الحق ولو في غربة بحر الظلمات . التدهور دائب والسقوط مستمر .

لا يسقط إلا الواقف على قمة الجبل . أما الواقع على الحضيض ، النائم فوق التراب ، فلا يبقى له مجال الحركة إلى القبر أو قعر البئر كعادة المخلفين المتخلفين . وكلا الساقط والنائم من زمرة الغافلين الضالين ، أو المغضوب عليهم المطرودين من عالم الأنوار وحضرة الحق .

إن سفينة نوح ناجية برياح التقوى . أما سفينة السامري ، فإنها على وشك الغرق ، بل يجري من ورائها إلى غيابات اليم أسطول الحضارة المريضة الحاملة لصور النمرود ، وفرعون ، وقارون ، وقوم لوط ، وعاد وثمود . يتزعمهم ثلة من قادتهم الفاسقين ، الذين يرجعون أصل الإنسان إلى صورة المسخ على شكل قرود ، وزواحف ، وفجار كلاب .

بحر الظلمات هائج يتلوث بحجب الرين على القلوب حتى مات التفكير عند ربان السفينة ، الذي لم يعد قادرا على رؤية الشجرة المباركة يهتدي بها .

وتغير شكل ربان السفينة ، يتراجع من صبغة الإنسان إلى صفة الحيوان ، لا يستطيع أن يستر عورته ، فتأخر به الزمان إلى الوراء ليعمل عمل الحيوان ، ويستهزئ بمن يرتقي إلى أعلى الدرجات ، ينعته بالتأخر والرجعية ، في حين أن العالم كله يرذل كل يوم بتقهقره إلى الجاهليات الأولى .

إن الرجعية هي النزول من مستوى الإنسان إلى مستوى البهائم ، وذلك الآن يظهر في جاهلية واحدة بمظهر سائر الجاهليات السابقة .

والمثل الأعلى المنشود هو التشبث بالعدل الأول ، الظاهر

والباطن الذي هو بكل شيء عليم ، مع التخلف بما يليق من أسمائه وصفاته العليا ، أي بما يليق بالمخلوقات من أسماء الخالق الجمالية .

فقال أسال : لقد وصلت إلى نقطة الإنطلاق الأساسية ، التي بدونها يضمحل الوجود؛ إذ تقول طريقنا ، إنه لا يفوز ولا ينجو إلا من تعلقت همته بالحق المبين المؤمن المهيمن ، الذي في نسيانه ضنك المعيشة . والعاقل كما تقول لا يرضى الهوان والتهاون : هوان الإنسانية وتهاون العقلاء ، إذ الحقيقة العليا لا يعقلها إلا العالمون ، وهم أهل الرأي ، رافعين رؤوسهم لنصرة الحق بالحق ، لا بالباطل كما يظن الجاهلون .

إن روح السامري وأعوانه تقمصت في أشباح المفسدين في الأرض ، والعالم برمته يفكر تفكيرا سامريا بما فيه خصوم السامري . ولم يعبد العجل الذهبي في يوم من الأيام مثلما هو معبود اليوم .

من الناس من يعبده من اليمين ، ومنهم من يعبده من اليسار ، وقسم يسمى الثالث يعبده من ذنبه ، لأنه دائما وأبدا مجرور بالتقليد الأعمى ، من جراء محاربة الحق باسم التقدم والمدنية العوراء .

وهذه الأنواع الثلاثة أعرضت عن ذكر الحق ، فكانت معيشتها معيشة ضنكا بسبب عمى القلوب .

فهل من سبيل إلى توجيه الرياح إلى سواء السبيل ؟ ●

« تزاحم سـرب من الأسئلة في ذهن حـي بن يقظان وعلى رأسهـا الإنسان : من هو ؟ . »

تساؤلات

فقال حي بن يقظان : الرياح بيـد العناية العظمى والمشيئة العليا ، والمطلوب من المخلوق هو توجيه الهمم ، بمن فيهم أولو العزم والهمم العالية .

- من سيرجع الإنسان إلى الإنسان ومنه إلى الحق ؟

- من هم أولئك الأقوام الأشراف الصالحون الذين يحملون الأمانة ، ويتجردون لإظهار الحق على الباطل في آخر مطاف التاريخ ؟

تساءل حي بن يقظان عن أمة المستقبل ، وإنسانية العلم

والخير والحق والجمال ، ومن سيقود الإنسانية إلى ما تصبو إليه القلوب وتراه العقول السليمة ؟

- من سينشر جناح الحق وأشعة العلم ومنافع العرفان في آخر المطاف ؟

- من هم الوارثون الذين سيصلحون الفاسد ، ويرتقون الفتق ، ويقوِّمون المعوج ، ويعبِّدون الطرق لخير البشرية جمعاء بصدر رحب لا يمتلئ إلا بالنور ، ولا يفيض إلا بالحب ، ولا تتسرب إليه غيوم الجهل المركب ، قائما بالقسط في أرض الإستخلاف ؟

- ومن هم حملة الأمانة والحنيفية السمحاء الذين سيستبدل الحق بهم قوما غير القوم الغافلين ، ثم لا يكونون أمثالهم ؟

- من سيشمر عن السواعد القوية بإبتسامة الرحماء وقوة الأبطال ، لتطهير النفوس وإرجاع بنيتها إلى الفطرة السليمة الأولى ، عقلا وذوقا وبصيرة ؟

- من سيأخذ بيد المسرفين والضالين التائهين دون إنتقام ولا عدوان ولا أغراض مذمومة ، متجردين لبناء أرض السلام ودار الحق ؟

- من سيقاوم الباطل ، وينصر الحق بالحق ، والخير

بالخير ، والفضل بالفضل ، يرمي إلى طاهر الغايات بطاهر الوسائل ؟

- بيد من وسائل نجدة الإنسان من الغرق في أوحال ضعاف الهمم ؟

- وعلى أكتاف من سيلقى عبء الأمانة العظمى ، ويلقي الحق قولا ثقيلا ، إن لم يكن من المصطفين من أهل النعمة ، يقودهم روح صادق مصدوق ، يناصر الحق بالحق بإذن الحق هاديا إلى صراط مستقيم ؟

- ماهي صورة هؤلاء الأبطال وراء بطل الأبطال ، محفوظة من الضلال والتيه والنظر الأعشى والقلب الأعمى والبصر الأحول ؟

- من سيمسح تراب الغبراء من خطوات الزيغ ، وأكاذيب الأشياع التي تهدد الشرق والغرب ؟

- من سيحيي النفوس من جديد بثمار الشجرة المباركة الزيتونة لا شرقية ولا غربية ، يذوب تحت أوراقها متلبد السراب ؟

- كيف يصبح من جديد النهار نهارا والليل ليلا دون قلب الأوضاع وقلب الحقائق ؟

- من سينقذ الإنسان المقلوب ، الذي يمشي مكبا على

وجهه ؟

ألا ترى رأي العين أن الأسفل صار عاليا ، والعالي أسفل ، وضعف العقل ، وصارت إرادة القوة عوض قوة الإرادة ، وصار من جراء ضعف العقل ومرض القلب أن تجر العربة الحصان ، بدل أن يجر الحصان العربة .

أراد الإنسان إثبات الذات بإثبات الحرية . فأصبح عبدا مكبلا يعبد العجل الذهبي والآلات المصنوعة التي تقمص فيها مثله الأعلى .

لهذا ترى رأي العين تقدم الآلات ، وتأخر النفوس ، وتشتت الأفكار والقلوب .

هذه تساؤلات راجت بين حي بن يقظان وأسال بعد عودتهما اليائسة إلى جزيرتهما الأولى ، فرارا من قفص المجتمعات المسمى بالمدنية الصاخبة الفاسقة عن أمر ربها ، والتي حق عليها القول ، فساقت الإنسان إلى الإنتحار التدريجي وبوار الأعمال ، بما أذاقها الحق من لباس الجوع والخوف والعنف ، حيث يتخم الغني ، ويهمل الفقير ، ويسطو الملأ ، ويطغى الجاه والمال والجنس ولغو الكلام في جو من الصخب والضجيج وثرثرة رحى الكلام .

وبغتة لاح وميض من نور، يوحي لهما وجوب إتباع

المنهاج الرباني ، والمنهاج العقلاني ، والمنهاج الوجداني معا . وفي نفس الوقت ، لما جبل عليه الإنسان من كونه حيوانا روحانيا بالنفخة القدسية ، أخذ العهد الأول والميثاق بين الحق والخلق ، وحيوانا ناطقا بالعقل العرفاني والنظامي ، المسؤول المكلف ، وحيوانا إجتماعيا من منطلق الخلق من نفس واحدة المنتشرة في الذات المختلفة ، وحيوانا ربانيا لشدة شوقه إلى الكمال والدوام والخلود تحت أنوار العلم والشعور المشرق .

وقر رأيهما على وجوب دوام التبليغ ، وأن الرسالة والنبوة مختومة . فلا رسول ولا نبي إلا عند من يتخبطه الشيطان من المس .

متى سيحظى الإنسان بشعاع من الكوكب الذري ليقود البشرية إلى ساحل النجاة والكمال ؟

أليست الغاية من الوجود ، هي التقرب من المطلق والإتصاف ببعض الأسماء ؟

تزاحم سرب من الأسئلة في ذهن حي بن يقظان وعلى رأسها الإنسان :

من هو ؟ وكيف هو ؟ ومتى سيعود أو يظهر ذلك الإنسان في أحسن تقويم ، قويا ببساطة الفطرة الطاهرة

والحق المبين ، بعيدا عن زخرف القول غرورا ؟؟

ومتى تنتشر تلك الرسالة القائمة على المثل الأعلى لإستنارة الأكوان ؟؟

كان حيا بين أموات ، يقظانا بين نيام ، لا تتقاذفه أمواج الهوى ، ولا يخدره دخان الكبر والغرور ، واضح النظرة ، غزير الخبرة ، حكيم العبرة ، عميق الفكرة . جمع بين نور العقل ونور البصيرة ونور الإعتبار ، شغوفا بالغوص على أسرار الكتب الثلاثة : كتاب " الحق " ، وكتاب " الكون " وكتاب " النفس " ، يستعين بجلاء النفخة الربانية ليمشي سويا على صراط مستقيم .

كان لا يتسرب إليه الخوف والغرور والكبر الطامس للبصيرة ، يتفتح كالأزهار لا يحتاج للأغيار، يسقيها ماء الغيب ، وتداعبها الرياح اللواقح دون تعسف الأهواء على قصد سبيلها . كان حيا بالإستجابة لنور السماوات والأرض ، ساعده السمع والأبصار والأفئدة على الجمع بين العقل والقلب ، لرفع الحجب عن جوهرة النفخة الربانية المتجلية في الروح الأمين ، الساهر على إحقاق الحق وتجليه ، وإزهاق الباطل وتخليه .

وكان الإنسان المقلوب عابد الأغيار ينهار، فلا يغفل عن

إحباط أعماله إلا البصر الأعشى ، ولا يشوه فطرته إلا النظر الأحول ، فيخسر قوة الإرادة منجرفا مع إرادة القوة عند الإنسان المقلوب ، الذي أصبح فيه لا فرق بين صورة البشر وصورة البقر في السعي والمرمى .

متى سيعود المخلوق في أحسن تقويم لمداواة القلوب العمياء ، والأفكار المظلمة ، والبصيرة المطموسة ، والعقول الهزيلة ، وزخارف الأقوال ؟ خلق لينظر إلى جمال الوجود الواجب ، وبهجة الوجود الجائز بفرحة الخلق بالحق ، إتباعا للفطرة الأولى الطاهرة من كل شوب وعيب يردها أسفل سافلين ، ويصدها عن السلوك الرامي إلى المثل الأعلى ، والمهتدي بخلق الإنسان الكامل قاصدا درجة الإنسان المتكامل ، يمشي سويا على صراط مستقيم ، لا مكبا على وجهه كالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، شأن أهل الكبر والغرور والجهل المركب والخوف من أعداء الحق المستهزئين بهم من وراء الستار .

أعداء الحق الذين استخفوا غضب الخالق ، وتحالفوا مع من « أبى واستكبر وكان من الكافرين » ، فنزلت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ثم أفرغوه حلة

سوداء على الطغاة والبغاة ، والعصاة والغلاة ، والجهلة والمغفلين . فأصبحت البشرية تنقسم إلى فئتين : فئة المغضوب عليهم من جانب الحق ، وفئة الأذلة من جانب الأذلين ، المغضوب عليهم من جانب الحق ، وهو الخسران المضاعف .

ورطة مضاعفة ومركبة ومتصاعدة ، لا يفلت منها إلا « من خشى الرحمان بالغيب » وفتح القلب للنور ، واستضاء عقله بمسلمات المطلق ، وكسر قيود الجهل والكبر والغرور ، والغفلة والسذاجة المغفلة ، والإعجاب بالنفس وبالمنحرفين من الأسرى ، الذين يسعون في الأرض فسادا ، متطاولين على حضرة علام الغيوب .

لا يقولن غافل غشيم " الشرق شرق والغرب غرب لا يجتمعان " ، بل المصير هو أنهما لا يشتبهان ، وسيجتمعان في شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار .

قد وقع الغرب والشرق معا في ورطة مريضة معقدة بما كسبت أيدي الناس ، فردوا أسفل سافلين ، ولم يبق لإنقاذهما إلا صادق الإيمان رغم أنف المعرضين ، والأعمال الصالحة رغم أنف المفسدين في الأرض ، الذين يعيشون في

الأرض فسادا بالإغواء والتحريف ، والغدر والمكر ، والعنف والإغتيال الجسدي والعقلي والخلقي ، يوقدون نار الحروب الواحدة بعد الأخرى ، وهم أنفسهم غافلون ، حتى نزلت عليهم الذلة والمسكنة « فباءوا بغضب على غضب » .

ستتجلى في إنسان المستقبل صورة المثل الأعلى ، أسوة حسنة بالإنسان الكامل بالقرب من الحق . سيجتمع بأس الحديد ونور اليقين في من خلق في أحسن تقويم ، بعد جهد جهيد وإستبدال قوم غير الجاهلين ، " ثم لا يكونوا أمثالهم " . ●

« كل حقيقة على شاكلة صاحـبها ، مطلقة عند الخالق ، ناقصة عند المخلوق . »

إنسان المستقبل

من هو إنسان المستقبل ؟ وكيف تكون نظرته إلى الوجود في شكل عقيدة دائمة ، قديمة ، جديدة ، صحيحة وثابتة ؟

الفكر يساعد على تصور الإنسان إستنادا إلى الذكاء .

والذكاء نوعان :

ذكاء إنساني : وهو سرعة الغوص على إكتشاف الحقائق لا الأباطيل لحل المشكلات ، يقوده العقل وتنيره البصيرة ولا يخرج عن قواعد المنطق .

وذكاء شيطاني : يبذل قصارى جهده للغوص على الأباطيل ، والحيل ونصب الشراك والحبائل ، وإرضاء الكبر والغرور ، والمتعة والطمع ، وإرادة القوة . ينقصه العقل ونور البصيرة وبعد النظر ، وينتهي بالنفاق في سلسلة من التحايل وذر الرماد في العيون ، والتفنن في السير من سيء إلى أسوإ ؛ وهي سلسلة يتورط فيها صاحبها ولا يستطيع التملص منها والتحرر من عواقبها . إذ الأمر طال الزمان أو قصر ، سينتهي بإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

إن كل حق مطلوب لا مفروض . وما هو مفروض من جانب الحق هو المصلحة العامة المطلوبة بالإجماع ، والمفروضة على الأفراد شخصيا ، لأنها في مصلحة كل فرد فرد على حدة ، كالقانون من قواعد المرور إلى دستور الدولة .

وهذا المطلوب دليل على حرية العقل وضرورة الجمع بينه وبين القلب . إن طلب الحقيقة كما تقرر ، هو القاسم المشترك بين الناس رغم تفاوت العقول وتضارب الآراء ، وإختلاف الطباع ، وإعصار الأهواء ونيران الشهوات ، وغباوة الفظ ، الغليظ القلب ، من المغفلين الذين هم أدنى درجة من الغافلين ، تضحك عليهم شياطين الجن والإنس إغواء وغرورا .

من سيساعد الإنسانية لسعادتها العظمى في الوقت الحاسم والزمان المحدود والخلود المطلق ؟

ماهو وجه الحال والمستقبل ، لإنسان الوقت الحريص على النجاة الراهنة ، وإنسان الزمان الواعي وعلى مر الأيام وصروف الزمان ، وإنسان النهاية أشقى أم سعيد ؟

كيف يتحرر من وطأة الثواني والدقائق والساعات لكسر القيود وفك الرقاب ؟

ولو لم يكن حيا ويقظانا لما التهبت نفسه شوقا جديدا لمواجهة النيران . وسرعان ما تبين له ما حصحص من الحق والقول الصحيح : كل حقيقة على شاكلة صاحبها ؛ مطلقة عند الخالق ، ناقصة عند المخلوق .

إن الحقيقة المطلقة لا تأتي ولا تنبع إلا من منبع المطلق لدى الخالق المتعالي ، وكل ما عداها يأتي من مجهود الخلق المقيد، المحدود والنسبي ، فيلزمه التواضع حتى لا يتطاول على حضرة سبب الأسباب ، وأصل الأصول ، الواحد القهار . ومن فضل العناية العليا الحكيمة ، تمكين الإنسان من الإستعدادات الكافية للجمع بين المطلق والمقيد ، تحت نفحات مقام الجمع المشهود ، كشاهد لعطاءات نور السماوات والأرض ، وهو نور الأنوار ، الهادي لكل من

يمشي سويا على صراط مستقيم .

إن بديع الصنع في الصورة الإنسانية والصورة الكونية لم يخلق عبثا ، ولم يترك سدى ، ولم يوجد باطلا ، ولم يقصد لعبا ولهوا . هذا العالم الرائع الذي لا يشينه إلا من جعل « إلهه هواه وأضله الله على علم » . وما كانت النفس واحدة إلا والإنسانية واحدة ، والطريق واحدة ، والغاية واحدة ، والنهاية المصيرية واحدة ، إنطلاقا من واحدية الأصل الأول ، والسبب الأول ، الموصوف بالتوحيد والوحدة والواحدية والأحدية ، تنويرا للعقول الواضحة ، وتبصيرا للقلوب السليمة ، وحفظا للأذواق الرفيعة ، والمواقف اللطيفة المعتدلة ، والأرواح المشرقة والضمير الحي .

ما كان للوحدة الإنسانية أن تسمح لأحد أن يعزل نفسه عنها بالإنزواء . إن إحياء الإنسانية مشروط بإحياء النفوس . وكل عمل منفصل نكوص مالم يكن تربية وإعدادا لخوض معركة دعوة الحق ، لا القطيعة ، ولا الإبتعاد ، ولا الإنزواء المعزول عن بقية الخليقة .

إن الإنسان كما قيل ، حيوان ناطق وإجتماعي وميتافيزيقي ، ولكنه فوق كل هذا حيوان ، بمعنى حي قدسي بفضل شرارة النفخة الربانية فيه ، لا الحيوان البهيمة

المتهافت على عبادة النفس والغير ، ومختلف الأوثان الجديدة والقديمة الطامسة لنور البصيرة .

كان سليم الفطرة في عزلته ، دائم التفكر في آيات الأكوان في أدغال غابته ، جمع بين العقل ، والذوق والكسب والفيض . وكان قلبا فياضا بحب الحق ، وإسعاد الخلق وتكريم الإنسانية ، وإحترام الأرواح ، مستعينا بدوام الإبتهال إنشادا وترتيلا للآيات البينات . هذا هو حي بن يقظان .

كان حيا بقلبه يقظانا بعقله ، قويا بفطرة في أحسن تقويم ، طاهرا بالفضيلة ، نيرا بالسكينة ، مطمئنا بنفس راضية ومحافظة على ومضة نور المقربين ، ذات الرؤية الشاملة ، إستمدادا من الروح الكاملة كمالا لا يتعدى مايليق بالمخلوق ، المعصوم من الكبائر والصغائر ، المفتوح عليه من أنوار الوهاب الكريم القديم ، لترشف النفس من غيث الجملة ومدد التفضيل ، المرسل رحمة للعالمين وخلاصا من غفلة الغافلين ، وعروجا بالبرية إلى أعلى عليين ، زاد حسنا وتألقا وبهاء بقبس من سماء الوحي ، مضافا إلى هداية القلب سليقة ، وإستعداد العقل تجربة ، وصفاء الخاطر فطرة ، فكان يمخر عباب بحر الأسرار ، بومضات

خاطفة كأنها معرفة عامة ، وتأملات عميقة في كتاب الوجود ، وكتاب القلوب ، وكتاب النفوس وأم الكتاب بعد القبرة والعزلة .

أدرك أن معارفه التلقائية من وجود الرحمان ، وأن ما تعلمه من الوحي رأس الحكمة والعرفان ، فكان له الوحي نورا على نور العقل ونور القلب . عند هذا الإدراك خجل من ربه ، بعد الندم على مغادرته مدينة الغفلة والظلم والجهل والعصيان والنسيان ، وأدرك أن الفرار دون إضطرار مخالف لحمل الأمانة ، وإهمال لواجب الهدايات من البدايات إلى النهايات ، وأن الحياة تعمير وتحرير وتدبير وتنوير وخلاص ونعيم .

لم يكن الندم يعرف طريقا إلى نفسه قبل أن يتعرف على البشر ، ولم تكن غيوم الخيبة تخيم على قلبه قط ، إلا بعد مشاهدته للجهل والعناد والكبر والعصيان . لكنه سرعان ما أدرك المسافة بين طاقة العقل وقدرة الإيمان بالوحي ، صانع المعجزات ، بسريان الروح في الأكوان لخرق العادات ، وإظهار الحق رغم الخطوب والعقبات .

وفورا عقد العزم على أداء الرسالة وتبليغ الدعوة ، وحمل الأمانة ، وكأنها فرض عين ، فشعر بإبتسامة قلبه

للوجود ، وإبتسامة الوجود لقلبه ، وتحطم جدار الزمان في بحر الخلود ، فامتزج الوقت بالأبد وتنفس الصعداء .

أشرقت نفسه بحياة جديدة ، امتزج فيها العقل بالقلب ، والعرفان بالوحي ، والعلم بالعمل ، ولم يبق في خلده مجال لليأس والقنوط ولا ميل للعزلة والإنزواء . فرفع رأسه في الليلة المقمرة إلى نجوم السماء ، وسماء الوجدان وهمس : " لبيك يارب " ، وكأن نشوة النصر المعهودة إليه تجاه الأعاصير ، وهجمات الوحوش ، وكوارث الطبيعة تلهب كيانه حماسا وإقداما ، ولكن هذه المرة في دائرة النور والكتاب المسطور . ●

« الناس ثلاثة لا رابع لهم : عابد الحق ، وعابد النفس ، وعابد الغير . »

مناجاة

وقبل أن يتوجه من جزيرة إلى أخرى ، ويعود قافلا إلى المدينة الظالمة لنفسها ، تملكه الحنين من جديد إلى أشقائه الأوفياء : الليل والبحر والسماء والفضاء والصمت ، دقات القلب الذي يتسع لإحتواء الأكوان حياتها وأسرارها .

مالت نفسه إلى قضاء ليلة شهود كاملة على رأس الجبل المشرف على البحر ، الناطق بتسبيحه من مد وجزر وأمواج متلاحقة ، تجاوبا مع تسبيح السماء ونجومها ورياحه ،

والجبال ودورانها ، والصمت ونغماته ، والأحياء ولغاتها ، والقلوب وهمساتها ، والأرواح وحياتها ، والجمادات وخطابها .

وامتلأت نفسه حبا للجمال المطلق ، تاج المعرفة ، فأخذ يحدث نفسه متسائلا وكأنه يناجي ربه :

" كيف ألتمس من الموسيقى ألحانها ، ومن سلطانها قوتها ، ومن تحريرها من الألفاظ فصاحتها ، ومن أشجان رناتها صفاءها ، ومن أناتها بيانها ، ومن سطوتها نفوذها ، ومن نغماتها عالميتها ، ومن إيقاعها نظامها ، ومن صدرها عمقها ؟

كيف أكتشف عند العصافير منطقها ، ومن الأزهار أسرار إبتسامتها ، ومن الصدور خلجاتها ، ومن الأنهار حياتها ، ومن السماوات عمقها ، ومن النفوس وحدتها ، ومن القلوب زفراتها ؟

رباه ، ضاقت الأرض بما رحبت ، والآفاق بما وسعت ، حتى فاض نور وجهك في القلوب ، فهب منه نسيم السكينة لتزداد إيمانا على إيمانها ، وامتلأت كأس القرب بالحب للجواد المحبوب ، والقلب الولهان ، والكون الفسيح مشكاة نورك الظاهر ، والعقل مصباح من مداد جودك ، والقلب

زجاجة من بديع حكمتك ، وهداك كوكب من خزائن رحمتك ، ووحيك شجرة مباركة من إلهام قدسيتك ، وكلماتك زيت مضيء لم تمسسه نار التعلم من الغير ، نور علمك على نور تعليمك لآدم الأسماء كلها .

رباه ، هذا غزير كرمك ، وعزيز قدرتك ، وواسع رحمتك ، فأعنًا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، واغفر للقوم الذين لا يعلمون .

رباه ، عشقت الحق ، فوجدت أن باب الحقيقة هو تواضع العلماء ، وخشية الحكماء ، وحسن ظن الأتقياء ، وإقدام الأوفياء ، وتضحية الأصفياء . وأقصر مسيرة بين نقطتين هو الخط الممدود على صراط مستقيم بين الحق والخلق .

رباه ، لكل قلب ومضة تمر عليه في حياته ، وكأنه على عتبة العرش العظيم تحت قدمك القدسية ، ولسان الحال في أحسن تقويم . ولكن يا بديع السماوات والأرض ، سرعان ما يأفل النجم ، وتضيع الومضة ، ونور العرفان بما كسبت أيدي الناس ، يردون أسفل سافلين . فكيف السبيل إلى راسخ العلم والإيمان ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ؟ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الراسخين في العلم بقلوب مفتوحة للمواهب الممنوحة .

رباه ، كنت سمعت صوت العقل يدعو إلى تجربة الغابرين : كيف بدأ الخلق وكيف كانت عاقبة المكذبين ، حتى أتى أمر الله ، وحصحص الحق بدعوة الداعي إلى حقيقة الحياة مع الحي القيوم الذي لا يموت ، فتمزق القلب برؤية المسافة بين العقل الشريف والوحي السليم ؟، وسرعان ما التهبت النفس خوفا وخشوعا بصعوبة طريق المقربين الذين يشهدون الكتاب المرقوم بإستقامتهم على الطريقة و « الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » ، فتفتحت لهم أبواب السماء بالنصر المبين .

رباه ، قلت لقلبي ذات يوم وأنا في مدينة العصيان : أتعلم يا قلب ما هو أفضل الأشواق وأجمل الهيام ؟ هو عليون ، « وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » . فباغتني قلبي وعقلي على الفور هامسا في أذني :

" إخرس يا هذا ، إياك ثم إياك أن تخاطب المجانين بلغة العقل ، فإنهم سرعان ما يتهمونك بالحمق وبالردة إلى مؤخر الركب في مسيرة الحياة ومراحل التاريخ ، كأنهم أحاطوا بكل شيء علما ، جهلا منهم وعنادا وتنطعا " .

" ثم استأنف قلبي وعقلي تلك النصيحة بهذا الكلام :

خاطب الناس على قدر عقولهم ، فإذا فقدوا العقل كله ، فأفضل وسيلة للأخذ بيدهم هو لغة الزمان ، وتأديب الشدائد لهم ، وسوط الظالمين ، حتى ينتقم الحق من الجميع . لكن الرحمة سبقت الغضب ، فإن كان العاجل مظلما ، فالآجل مضيء ، لأن الكتاب محفوظ والإظهار مضمون ، ونور الله لا تطفئه أفواه الغافلين " .

إن الإنسانية هالكة بكثرة الخبث ، ولكن صنع الحق بديع ، فلابد من إستئناف السعي والسير لحمل الأمانة من جديد بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . ثم إن اقتضى الحال ، إذا مر العالمون باللغو مروا كراما ، وإذا استفحل الجهل أعرضوا عن الجاهلين ، وإذا انتشر الظلم أعدوا ما استطاعوا من قوة ، وإذا قوتل الأبرياء بسفك دمائهم قاتلوهم كفرض عين جهادا عادلا ومكافئا . وفي آخر المطاف يكون تاج الأعمال هو العفو والصفح والإصلاح .

رباه ، تلك مشيئة الحكمة العليا للحضرة القدسية ، تبتدئ بنور الأنوار ، وترجع إلى حضرة النور السامية والدار الباقية والسدرة العالية .

رباه ، وددت لو الإنسان حافظ على أحسن تقويم ولم

يكن ظلوما جهولا ، فأعنا على جميل الذكر والشكر ، وحسن العبادة ، لإسترجاع الحقيقة .

رباه ، خلقت الإنسان وعلمته البيان ، وهاهو ينقلب على عقبيه ، ويغرق في بحر الظلمات وزخرف القول وغموض العرض وفضول الكلام ؛ والإستهتار بالحرث والنسل ، والنفس والعقل والدين وعَرَق الجبين . لكن رحيمية الرحيم سبقت الغضب ، ورحمانية الرحمان دائمة العطاء .

رباه ، عرضت خزائن رحمتك على الإنسان في كتاب " الوجود " ، فشغلته الأشياء ونسي الوجود ، ثم نسي الحق ، ونسي الخلق ينحرهم وينتحر ؛ فكانت لهم عيون لا يبصرون بها ، وآذان لا يسمعون بها ، وأقواهم يمشي مكبا على وجهه ، وعلى قلوب أقفالها . لكن أسماءك الجمالية لا تتعطل ، وباب كرمك مفتوح على مصراعيه .

رباه ، ألهمت النفوس فجورها وتقواها ، وأوحيت لها جمال الكتاب المرقوم يشهده المقربون من فيض الحي القيوم ، وسرعان ما صارت القلوب كالحجارة أو أشد قسوة ، ولكن نور الحق يضيء ظلمات الجهل مزهقا الباطل .

رباه ، وجهت الإنسان إلى كتاب " النفوس " ، فتعلم أسراره ، ومنها أسرار أسمائك الحسنى ، وصفاتك العليا ،

وأفعالك القدسية ، وعزة عظمتك الجمالية والجلالية . وسرعان ما صاروا من الغافلين ، إذ« نسوا الله فنسيهم » ، وولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ، ثم « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ؛ وأصبح الإنسان عرضا من جملة البضائع والأشياء ، وهم في وهم على وهم يمحق بعضه بعضا .

" رباه ، صنعك البديع وجمال وجهك الكريم مع حلاوة اليقين وترتيل السبحات يدعو إلى الإيمان بعلم العلوم ، وإلى العمل ببهجة القلوب لتنمو أزهار الحياة وثمرات الخير ، وتتمخض الأرحام عن ولادة الإنسان من جديد .

" رباه ، إن كانت بهجة « إياك نعبد » ، وعظمة « إياك نستعين » ، بحرا زاخرا من المعاني الجوهرية ، فإن الغرور والكبر والعصيان يقلب المبصر أعمى ، والسامع أصم ، والفصيح أبكم ، والرابح خاسرا بضياعه في خضم الحركة بلا شغل ، والفوضى بلا إنضباط ، والعربة بلا حصان ، والجسد بلا روح .

" إن قوة الإرادة من كنوز الفضل ، وإرادة القوة العمياء من فضول القول . تلك شجرة الهمة السامية الباسقة الأغصان ، إذا تعلقت بما وراء الثريا نالته ، وإذا سألت

الوهاب أعطاها ، وإذا حركت اللسان انفعل الوجود ولسان حالها يقول :

- بصدق النوايا تتفجر أنهار الإستجابة ، إذ أن طاقة القلب أقوى من ذرات الكون .

- بصدق التوجه تتفجر ينابيع الحكمة ، إذ أنها بداية المراقبة الواعية العالمة .

- بصدق الإيمان تنبع عيون المعرفة ، إذ أنه أمتن أساس كمسلمة عقلية وقلبية .

- بصدق السلوك تتطعم بحار الخيرات ، لأن جزاء الخير فيه وعقاب الشر فيه .

- بصدق التضحية تجري جداول الصلاح ، فالأمة كالأرض لابد لها من مخصب .

- بصدق المعرفة تفور أودية الحقائق والرقائق ، فهي كالمال يتم بعضه بعضا .

- بصدق العمل بلا رياء يزيد المدد والعون بتضافر الجهود وتضامن الأمة .

" رباه ، أدهشني حال الإنسان يمشي مكبا على وجهه ، ويسخر ممن يمشي سويا على صراط مستقيم ، وولى الأدبار للحق ، فأصابه الخذل والشلل وهو يدور في فراغ .

" رباه ، أعطيت كل شيء خلقــه ، ثم هديت ، فكانت الحيـاة بسـيطة جـميلة باسـتـجابـة المؤمنين لله وللرسـول ؛ إذ دعـاهم لما يحـييـهم لا لما يعـيـشـهم فـقط ، فـإن اقـتـصـروا على المعـاش ، ضاعت الحـيـاة واختلطوا بالمواشي و الأنعـام ، حتى تخلقـوا بأخلاقـهـا ، وتطبعـوا بعـاداتهـا ، وصـار الجـمـيع يمشي على أربع .

" رباه ، أصبح حبي لك مدعـاة لخدمة مخلوقـاتك ، لكن هذا الحب نار ونور في نفس الآونة ، يحـتـــرق القلب بـه من هول قلب الحـقـائق والإسـراع إلى الهـلاك والغـرق ، فكيف النجاة من الكبر والعناد، تصفو به الروح ، ولكن الذهب لا ينصهـر إلا من لهـيب النيـران ، تلك مـشـيـئتك العـليـا الراميـة لتطهـيـر الظالم لنفـســه ونجـاة التـائب والمقـتـصـد والسـابق للخـيـرات من جـحـيـم العـمـيـان . ولكن مـا أجـمل وأبهى دم الشـهداء العزيز على الحق المتعـالي ، دم يسقي الحيـاة الدنـيـا وينتـقل مبـتـسـمـا ومـتـألما إلى الحيـاة الأبدية على أجنحـة نور الفـرقـان ، تحلق في سمـائهـا أرواح المقـربين سـابحـة في جنان النعيم .

" رباه ، كـانت الفطرة صنع يدك المقـدسـة ، طاهرة بريئـة بهـيـة كـأوراق الورد وإبتـسـامـة الرضيع وحنان الأمهات وعليل

النسيم ، فحسبت الناس سواسية فيها قبل معرفتي لهم وإندماجي في مجتمعهم . كنت وحيدا ، فردا بين سكان الغاب ، أعيش عيشة أهله دون زخرف الكلام وضعف التخاطب وسوء التفاهم ، وكأن النفس الواحدة التي خلقت منها سائر الأنفس تقمصت مجتمعة في كيانها ، يغلب على ذهني حسن الظن ، ويسيطر على خيالي النموذج الأول المخلوق في أحسن تقويم ، بريء من العيوب الدافعة إلى أسفل سافلين .

وإذا بإحتكاكي مع العمران البشري في مدينة العصيان : يفاجئني كحلم مريع بحقيقة الأهواء ، كسراب ملتهب بقيعة نارية لا يموت فيها الإنسان ولا يحيى ، خيال في خيال يجعل أكثر الناس يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، فيصيبهم الخزي في الحياة الدنيا التي يعبدونها ، وهم سكارى نيام ، واقفون على باب غضبك وجحيم الذلة والمسكنة ، لا يسمعون ولا يبصرون ما قد انتابهم من مس ومرض ، يتخبطون فيه ، يستهزئون بالبشير والنذير ، يقتلون عباد الرحمان بغير حق ، يخافون أشد الخوف من إنتصار العدل ، ويكرهون إنتشار الإحسان ، ويتهمون الأبرار بأساطير الأولين . انقلبوا زواحف على بطونهم ومواشي على

أربع ، يسومون الصالحين سوء العذاب ، ويرمون الصديقين بنبال المترفين ، ويحتقرون المسخرات ، ويعبثون بالطيبات من الرزق ويكثرون من تناول الخبائث ، فامتزجت دماؤهم بجراثيمها ، ونفوسهم بأمراضها ، وقلوبهم بأدرانها وما ران عليها .

فكان هذا السراب سبب دهشتي المتكررة ، وندمي على حال الفترة التي كنت فيها قبل بلوغ الرسالة ، والتفقه في الكتاب المبين الذي فتح أبصار الغافلين ، وأنار طريق المهتدين ، وأخبر بما لم يدركه العارفون ، وفجر مكنونات الفطرة في قلب الحكماء وعقل العلماء وروح الأصفياء ، نسيم عليل ونور جليل وهدى الخليل ، فزاد يقيني بوجوب إقتران العقل والشرع ، والفكر والعقل والوحي ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والإنسانيات والإلهيات ، والسماء والأرض ، والوقت والخلود ، والدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والإطلاق والنسبي ، والظاهر والباطن ، والسر والعلن ، والأسرار والتجليات ، والإرادة والفكر ، والمتعين والممكن ، والواقع والموت والحياة ، والفناء والبقاء ، والكثير من المتكاملات .

ثم يا مولاي ، أدهشني وأضاف الألم إلى الحيرة ، هذا

الجمع بين حمل الأمانة والنفس المخيرة بين فجورها وتقواها ، مع سبق الفجور على التقوى في ترتيب الخطاب ، هذا الجمع بين حمل الأمانة وبين كون حاملها ظلوما جهولا بما كسبت يداه ، وبما طغى عليه هواه المتأله ، فنسي وأنسي ونسي نفسه ، وخيمت على قلبه غشاوة الظلم والجهل المركب .

وعلمت وأنت علام الغيوب ، أن هلاك الإنسان في سوء الإختيار ، إن كان للجاهل إختيار ، « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » ، ويسلك طريق « الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » ، هذا ، وقد علمت آدم الأسماء كلها وعلمت بالقلم ، علمت الإنسان ما لم يعلم ، فكان منبع الداء وسبب البلاء : هو الجهل والسطحية والغرور والكبر والفجور وظلام العصيان ظلما للنفس .

رباه ، أي جهل أعظم من عناد من يعيش في الفراغ ، تتلاعب به رياح الأهواء وإشباع الشهوات ، فيتبارز مع أهل الحقائق التي لا يعقلها إلا العالمون ، ويجادل أهل الأسرار والرقائق ، وقد برز لهم مقطوع الرأس مدعيا أنه المفكر الأعظم والمجاهد الأكبر بلا حياء .

" كل من جعل إلهه هواه ، فهو مقطوع الرأس . وكل من

تعلقت همته بغير الحق ، فهو ذليل النفس . وكل من تفانى في حضرة الحق ، فهو الرأس الشامخ " .

" فالناس ثلاثة ، لا رابع لهم : عابد الحق ، عابد النفس ، وعابد الغير . للأول العزة والمنعَة والنصر ، وللثاني الخزي والإحباط ، وللثالث الشرك وحليفه سوء العاقبة دون غفران ، مع ضنك العيش مترفا أو فقيرا " .

رباه ، ها أناذا أمثل بتفضيلك للإنسان على كثير ممن خلقت تفضيلا ، وبتكريمك للأنام لعلمك بقدر الأمانة المنبثقة من خزائن كرمك ورحمتك ، ها أنا ذا أمثل بين يديك بعد أن رفعتَ رأس الإنسان من صفة الركوع لغيرك ، والتعلق بسراب الجهالات وطأطأة الرأس للمخلوق ، حتى يتجلى كرمك وسر تفضيلك لمن أمرت الملائكة بالسجود له ، طبقا لما أخبرت حبيبك الصادق المصدوق ، وما كانت تجهله الفطرة لو لا تعليمك لها ووحيك لها كما أوحيت إلى النحل ، بفضل رحمانيتك .

ها أناذا ، أطرق باب عظمتك ، وعتبة جلالك ، وحضرة قدرتك وهيمنتك ، لتفتح قلبي لرحمتك التي وسعت كل شيء ، ويَجُبُّ الحق ما قبله من الباطل لخير الإنسانية ، وتجعلني من عبادك الأحرار بعزتك ، المختارين لأنوار علمك

في الكتاب المحفوظ ، الأقوياء بالعلم واليقين باللغو مر الكرام ، والراجين من فضل رحمانيتك ، وحلم رحيميتك ، تعميم السعادة النورانية على عموم البشرية كافة ، بالهداية والتوبة والإنابة ، وبديع الحسن والجمال في العقل السليم والقلب السليم بالعدل والإحسان ، وأن تنذر المساكين من جديد ، تنذر ضعاف العقل والإرادة من أتباع الذي قال : " أنا أحيي وأميت " والذي طغى وأبى أن يتزكى حتى أدركه الغرق ، فانتبه متأخرا لجهله وهواه وقال : " آمنت " ، ومن أتباع من طغى بماله حتى خسفت به الأرض . وكان إنذارا لفسوق المترفين الذين يعيثون في الأرض فسادا ، المخلطين بين نعمة الرزق ونقمة الترف عليهم وعلى غيرهم ، فكانوا إخوان الشياطين بالتبذير ، ومدعاة لحرمان السائل والفقير ، عبدة العجل والطاغوت .

" رباه ، كانت حياة الطبيعة تجعلني أصارع من هو أقوى مني بطشا وبدنا من سكان الغاب ، فأشعر في سريرتي وغبطة خلدي بنعيم الحمد الواعي ومعانيه الأربعة :

العلم والإعتراف بعطائك ، والثبات على اليقين بوحدانيتك ، والتنعم بجميل نظام صنعك . وكانت حياة الغاب معاشا مستنيرا بحياة الحمد لحق الوجود وصميم

النور ، ولم أكن أدري للكلام معنى ، ولم تكن عندي للمسميات ألفاظ . بل أسماء وهي تعريفات زاخرة المعنى ، حامية المدلول ، حية المغزى ، فصيحة الإشارة .

" فلما تعرفت على الكتاب المحفوظ وسنة الصادق المصدوق ، أدركت بعد المسافة بين السماء والأرض ، وانبثق الحنين إلى الجمع بينهما ، فكان الجمع رتقا لشتات القلوب ، وتاقت النفس شوقا إلى إحياء أحسن تقويم في صدور البشر ، لأنني وإياهم من نفس واحدة كما غرسته في العقل ، وأودعته في الروُع ، وسطرته في الخَلَد ، وحركت به الأرواح ، وأيقظت به الهمم ، وما فتئ يشرق به قديم كلامك ، لا تبديل لكلماتك الثابتة وأعيانها النافذة .

" عظم الحنين إلى الفردوس المفقود ، ونسيم الإحسان على القلوب برد وسلام ، ولحنين الأرواح تحت مصباح النور ، يتضح بأسرار المكنونات خيرا وبركات ، ونعيم السكينة والسلام يغمر أجواء النفوس ، وكأن الأكوان فصيحة تنطق بلسان الأنبياء ، وخطاب الرحمة ، متشفعة في الخلائق المستغيثة . « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم» . متصفين بخصال العظمة التي

لا تدركها الأقزام ...

" أيقظت حي بن يقظان من سبات غفلته عن عالم الغيب ، ونزعت ما في صدره من ريب طارئ ، وأوضحت له وحدة الخالق ، ووحدة الأرواح ، ووحدة النفوس ، ووحدة العقول ، ووحدة القلوب ، ووحدة الجبلة ، والمادة تتكهرب من نور وطاقة وتجليت للأحياء بتسبيح الأشياء ، ولكن الناس لا يفقهون تسبيحهم ، ولم يكن في الكون من نعم إلا جاد بها الرحمان ، البديع على العرش استوى .

" جعلني نورك الوهاج ، الظاهر في الخلق ، الباطن في الحكمة ، المشاهد في الأنواع ، الخفي في الأسرار ، جعلني على أعتاب قدسيتك ، ورهيب حضرتك ، أملأ القلب محبة لك متقربا لعظيم جنابك ، بمحبة تلك النفخة التي نفختها في الإنسان وساعيا لخدمة خلقك ، لأنك قضيت والخير فيما قضيت ، لأنه من أردت به خيرا كلفته بقضاء حوائج الناس . وأي شيء يشتاق القلب إليه ويصبو العقل لجماله ، وتتلهف النفوس وهي في أشد الحاجة إليه من العودة إلى أحسن تقويم ، إلى ذلك النموذج المتجلي في كريم نفس المصطفى المختار ، الذي أشرقت به الكائنات ، على خلق عظيم وصراط مستقيم ، وسط إنهيار البشر إلى أسفل

سافلين .

" رباه ، كل نفس حاملة لنفختك القدسية محجوبة عن أنوارك السنية . فأنعم برحمتك التي وسعت كل شيء على خلقك ، في المشارق والمغارب ، برفع الحجب ونزع النقاب عن سر عظمتك في الوجود ، وبديع صنعك في النفوس ، واجعل الإنسان ينسلخ من صبغة الحيوان ، تباركت وتعاليت .

" رباه ، لقد أصدرت أمرك لخير خلقك ، أن يصدع بما يؤمر لسعادة الخليقة ، فاجعلنا يارب : من أحسن التابعين " .

وإذا بحي بن يقظان وهو على هذا الحال تجري سبحاته جريان الماء من عين صافية ، يفيض قلبه الطاهر شوقا إلى القلب الطاهر ، وكأنه يبحث عن نفسه في نفسه ، ويجري وراء ظله في ظله ، ويقلب الأفكار في جزيرته يستقصي صورته الضائعة منه ، لأنه اقتنع أن الإنسانية خلقت من نفس واحدة . فلا يطمئن الإنسان ، ولا يرضى إلا بإفراغ حلة السعادة على البشرية كلها ، ولا تبرأ جرح النفوس وآلام القلوب ، إلا باتحادها وجمع شملها وإنغمارها في نور السماوات والأرض ورجوعها إليه .

وإذا بحي بن يقظان وهو على هذا الحال من فيض الخاطر ، تأخذه شبه راحة وسكون غفوة ، وقد جبل على حسن الإستعداد وصدق النظرة والرؤيا معا ، فتراءى له فيما يرى النائم ما كان له تنبيها ودهشة وعبرة ذكرى . ●

« يحيـط بقفص الحكمـاء والعلماء والمصلحين ، أفـواج ثرثارة من نوع غـريب ، يشـتـهـون المفكرين والأدباء والشـعـراء والفنانين ، حرفتهم صناعة زخرف القول . »

جنازة الإنسان

أول ما تراءى له في غفوته هبوط ورقاء ناصعة البياض ، معتدلة عوان بين كبر العنقاء وصغر العصفور . شقت الزرقاء بنور سر الأسرار ، وهي نفخة من قدسية ذاته ، وبصيرة بنور الأنوار المحيط بمكنونات الوجود ، عاشقة للكتاب المبين المنير لكل قلب أمين على العهد القديم والميثاق المأخوذ .

وطفقت الورقاء تحوم حول البحر الفسيح صورة صدرها ومرآة قلبها ، وكأنها تهفو إلى دعابة الأمواج ، لجيد

العذارى وإبتسامة الغواني ، نغمة من نغمات البراءة الأولى في أحسن تقويم ، وأجمل إعتدال ، وألطف إنسجام ، وأبدع إيقاع وأنعم سكينة .

وكانت مخيلة حي بن يقظان مليئة بصورة رحابة صدر البحر ، وعمق فضاء الكون ، وغزارة أزهار المعاني ، وثبات السماوات على مسطور أسرارها ، وجدية الوقار على شامخ الرواسي ، ووقار الوزن ، والحكمة ، والثبات ، والسكينة ، والهدوء واليقظة القلبية بالحياة الروحية والأضواء العقلية في جوامع حي بن يقظان ، بشديد اللهفة إلى المزيد من القرب من الورقاء ، وكأنها تملكت نفسه وملأت أكوانه ، وإذا بالأشجان تلهب أنظاره عندما باغتته الورقاء بغزير العبارات . تساقط فصيحة ناطقة بما يشبه الرثاء على موت الإنسان ، كما تشعر بعض الأحياء البكماء بقرب الزلازل ، والبرية في مشارق الأرض ومغاربها بين مغتال ومنتحر . فاختلط دم البريء بدم الأثيم بقدر ما كثر الخبث .

ورويدا رويدا ، حصحص الحق ، وتصاعد غبار الأقدام وأصوات النعي واقتربت الجنازة ؛ جنازة الإنسان الذي نسي ولم يحافظ على قديم العهود ، ولم يجد الحق له عزماً ، فكان من الهالكين .

رأى حي بن يقظان حشدا تحيط به الفتن من كل جانب ، لا يحصى عدده ، ولا تضبط له أحوال ، ولا ألوان ولا لهجات ولا إتجاهات ، يتوسطه حملة نعش كبير الحجم ، ضاعت قيمته وتوانى قدره ، يبدو مصنوعا من غرور وقساوة ، مزخرف بصور من ريشة المجانين ، لا إنسجام بين خطوطها ولا تناسق بين أجزائها ، تنم عن فقدان الرشد كرسوم الصبيان الضعيفة النضج والعقل ، وكنفسية الأجسام الهرمة عند إقتراب الأجل .

وظهر على جانبي النعش قلب منحوت من أشد الحجارة قساوة ، بضاعة معهودة في جحيم الأسواق الربوية ، يعلقونها على جدران معابدهم المصرفية ، وضجيج الكهنوت كشبه تراتيل تقرأ على أوراق خضراء مبرقعة ، أخذت من أوراق الخريف ، خريف تاريخ الحشد وأقوامه إنذارا بأفوله .

ولما دنا الحشد من سفح الجبل تحت أنظار حي بن يقظان ، توضحت الصورة ، وانجلى الجمع ، وتبدد الغبار ، وانقشعت الغيوم .

كانت الجنازة تسير نحو مقبرة مكتوب على بابها : " مقبرة النسيان " ، لا يعرفها أهل الذكر والتذكر ، وإنما أحيطت بسياج من أشواك الآثام والشرك الأكبر والأصغر ،

خاصة بأهل الجهل والكبر والغرور ، استعارت إسمها من المعاندين الذين نسوا الله ، فأنساهم أنفسهم ، فأصبحوا غرباء في أجسامهم ، يسكنون فراغها ويعبدون فجورها ، ويقلدون القردة الخاسئين ، ويعيشون على بطونهم إقتداء بالزواحف التي قصر نظرهم على رؤيتها ، ولم تعد لهم قدرة على رفع الأبصار وتسريح الأنظار في فسيح الآفاق وفي عمق النفوس ، وقد خلا صدرهم من حقيقة الحياة ببهيمية المعاش .

وما رسمت أحرف الغفلة والشقاء على مقبرة النسيان إلا بنار الجفوة بين الحق والخلق ، إذ نسوا الله ثانية ، فنسيهم بعدما أنساهم أنفسهم ، وسلط عليهم العجل يقوده السامري . فأذكى وطيس الحروب تعجيلا بموت الإنسان على عجلة الزمان الطاحنة ، وبذلك ربط الحق بين العجل الممقوت والعجلة الساحقة والتعجيل بالعقاب ، وصاغ أحرفها النارية من إشتقاق متشابه .

وكأن حملة النعش أجسام يسكنها عفاريت من الجن ، تتلمذوا على أناس أشد مكرا من إبليس ، كل على شاكلته ، فظهرت الأجسام على صورة الجن الساكن فيها ، يتقدمها الجسم النمرودي المتأله ، وبجانبه الجسم الفرعوني

المغـرور المتطاول على الربوبيـة مـتنافـسـا مع جـاره المتطاول على الألوهيـة ، يتوسطهـا قـارون والسامري ، وعلى وجهـهمـا إبتـسـامـة السـخـرية باليـمين واليـسـار ، وغـرور التـرفع والإستكبـار يفـور كنار البـركان من طرفهـمـا . وعلى جـوانب النعش عـبدة القـرد ، زعـمـا منهم أنه هو أبوهم الذي تفـضل عليهم بالوجود ، حباهم من صورته ونفسيته وعقله . فـصاروا قـردة خـاسـئين ، لا يطمـحـون إلى أصل آدمي ، قـد تلقى كلمـات الخلاص ، ونفحـات النجـاة ، وأسـمـاء الموجـودات ، وإستعدادات الإرتقـاء . بل نكصوا وانقـلبوا على أعقـابهم لا إلى صفة القـردية فـحسب ، بل تعدوها إلى مـحاكـاة ما صنعوه بأيديهم من الآلات المتحركة يتشبهون بها ، فاصبحوا من جـملة الدواليب ، تحـركـهم أيادي قـارون والسـامـري في صخب الأسواق .

ومن وراء عبـاد القرد عـبدة البطن والأرض ، يسـتعـملون بخـورا من حـشـيـش وزخـرف القــول ، ورحى الكلام تخـدر أعـصـابهم وتنقل جـفـونهم ، فـلا يرون أبعـد من أنوفـهم العـريضـة العنيـدة المتـعـصـبـة ، ولا أبعـد من تراب الحـقـول والمصانع والمقابر العدمية . يتسلحون بالعنف والحديد والنار ويريدون الحـرية ، فـيلجـأون إلى الإسـتـبـداد والرفـاهـيـة ،

فيلقاهم التقتير والجباة ، فيموتون في الثلوج ، ويخاصمون الماديين أتباع العجل وكهنوته ، فيذهبون أبعد منهم . يصوغون سلوك الماديين في قالب دين متعصب ، مقلوب ، قبلته العجل الذهبي . ولذلك نحتوا عجلا فوق النعش ، يعبده قوم قارون والسامري عن يمينه ، وقوم المستضعفين الحاقدين عن يساره ، والمتخلفون من ذنبه ، والمفسدون في الأرض من قرونه .

وراء القردة والزواحف ، يمشي مكبا على وجهه نمط غريب ، سقط دماغه بنصفيه الأيمن والأيسر بين أرجلهم ، فاختلط العقل بالغريزة ، وغطت ظلمات الحس شعاع المعنى ، وأصاب عيونهم رمد الشهوة ، فضعف البصر والبصيرة كما كان « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .

وانتشر بسلوكهم طاعون الفحشاء والمنكر والوباء التي لم تكن تظهر في أسلافهم ، واحتقروا المرأة والمحارم إباحية بعد أخرى . وأباحوا تعدد الزوجات المجاني مسافحين ، ومنعوا ما كان منه مشروعا ، وأقاموا معابد غريبة الهندسة على شكل سراويل مقلوبة وأقمصة قصيرة ، تظهر منها عورة الجنسين . وجعلوها متاحف الفنون والآداب والفلسفة

والدين ، وأشاعوا أن التفكير منبعه بين الأرجل ، فكان بعضهم يسمي مذهبهم " بالرجلانية " ، مقابل وظيفة العقل المسماة " بالعقلانية " على سبيل التبادل والإعارة ، فانقلب جيل العذارى عجائز ، طارت منهن البراءة .

يصاحب هذا النوع الهرم مجنون عبقري ، خرج من كهف " عبقر " بعد بداية الخبل ، جحظت إحدى عينيه ، فلم يفلح في كسب أحسن تقويم وشموخ السابقين ووصول المقربين . فتعلق قلبه المقلوب بشبح ، ظهر له في أحلام اليقظة على صورة الإنسان المتفوق جهلا منه بالإنسان الكامل ، وتبعه عن صدق كما هو حال الصبيان في خيالهم ، والمجانين في أوهامهم التي لا تكذب ولو أنها تعدم العقل والواقع ، واستفحل فيه الشعور بالعظمة غرورا . فقد رشده وصاح معربدا : " لقد مات الله " ، فكان بقولته المشؤومة ، الإجهاز على الإنسان والقضاء عليه قضاء مبرما ، فذهب عقله لما حصحص الحق وعلا صوته في الأرجاء : " بل قد مات الإنسان " ، لم يبق منه إلا صورة الحيوان ، وتسلسل الصدى ، تسلسل الأمواج في ظلمات بحر الجهالة .

وكان في مقدمة الجنازة مجمع المفسدين في الأرض يستهزئون بالغادي والرائح . كما كان في مؤخر الركب

الأقوام المتخلفون ، الذين غلبهم الإهمال في محاكاة غيرهم ، وتقليد خطواتهم بأرجل عرجاء ونظر قصير .

لكن المفاجأة المؤلمة في هذه المنامة المريبة ، هو ذلك المشهد الرهيب ، من سجون ومعتقلات على الطرقات بجانب أقفاص من حديد ملتهب . أعدت كلها للزج فيها بالعقلاء والحكماء والمصلحين ، المنادين بإحياء أحسن تقويم والأعمال الصالحة . وكانت التهمة القاضية عليهم ، هي الثبات على المبدإ والوفاء بالعهود ونشر الفضيلة ، وذلك الشبح المخيف والطامة الكبرى التي تسمى بـ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " في العصور الزاهرة .

ـ والتهمة الثانية كانت عصيان مسايرة التاريخ إلى الهاوية والحروب المتتالية ، وتفسخ الأخلاق ، وعبادة العجل ، وهتك الأعراض ، ونشر الإستبداد ، وإغناء الغني وإفقار الفقير، والتملق للطغاة في الأمم المكسوبة في أقصى اليسار ، وإستغلال الإنسان للإنسان في أقصى اليمين .

ـ والتهمة الثالثة : هي التشبث بأحكام العقل والشرع في عصر التطور والفوضى .

ـ والتهمة الرابعة : هي تربية الإنسان الكريم والبشر النظيف في زمان الإباحية ، والرشوة ، وبيع الضمائر وتتابع

الأزمات المتلاحقة .

- والتهمة الخامسة : هي التحكم في السياسة والإقتصاد بحسب المصلحة العامة ، لا التحكم في المصلحة العامة بحسب الإقتصاد ، لإرضاء هوى العجل الذهبي .

- والتهمة السادسة : هي تربية النفوس على الذوق السليم .

- والتهمة السابعة والكبرى : هي السعي إلى خلق الأبطال ، أولي العزم والفراسة والأرواح الشامخة في العزة ، والراسخة في العلم ، والمجاهدة من أجل العدل والإحسان ، قصد تكوين العقل السليم والقلب السليم والمجتمع الفاضل والإنسانية السعيدة .

كان من بين المشيعين لجنازة الإنسان طغاة يزيدون في الطين بلة ، ويكررون التهم ، فلا يقبلون من الأبرار الثبات على المبدإ ، وينعتونهم بالمتشددين وبالأصوليين ، لحرص الأبرار على المحافظة على أصل المعاني الرفيعة المضمونة في الكتاب المبين وسنة الهادي الأمين .

فتآلب على الأبرار عباد الأغيار بالأنظار المقلوبة والقلوب المسلوبة ، فكبلوا أهل الرأي الراجح والحكمة البالغة ، لتمر الجنازة بحسب مخطط العفاريت ، وجنون

الشياطين الساكنة في ضمائر الإنس .

وكان أهل العصر المشيعون للجنازة ترتعد فرائصهم من رؤية كل مصلح أمين ، واقترب الموكب من مقبرة النسيان : كانت غاصة بالأوثان القديمة والجديدة ، يتصدرهم كبير الأصنام الملقب بـ " الهوى " ، الذي اتخذه أهل الضلال إلها لهم .

وكانت الأصنام تحمل أسماء قديمة ترجع إلى الوثنيات العتيقة ، وأسماء جديدة مثل الإنسية ، وأغلب الظن أنها في مقابل الجنية ، ومثل أشباح الأبطال ، والقياصرة ، والمغامرين من الزعماء ، والمستهترين من نجوم المسرح والشاشة والملاهي ، ومثل المذاهب المجسدة كالعقلانية، والعلمانية التي خلقت جهلانية ، فتسترت بالإنتساب إلى العلم بمقتضى قلب الحقائق ، ومثل العلم وهو شبح ، كبيت العنكبوت ، ومثل الإقتصاد ، وهو في الحقيقة تبذير وإستغلال للفقراء . وربما من أجل ذلك ، أقاموا له تمثالا موجها نحو قبلة العجل الواقف على أربع فوق سبيكة من ذهب ، يرقص حولها عبدة الدرهم والدينار . وكانت الأصنام تتوالد تلقائيا كالأهلاس تتراءى للزائرين ، كما تظهر لبعض أصناف الجنون أشباح لا وجود لها ، ومن بين المجانين

المتنبؤون المنحوتة صورهم على شكل سلسلة تماثيل ، عدد حلقاتها بعدد الفرق والمذاهب والفلسفات والملل والنحل ، حتى الأزياء نحتوا لها أوثانا كاسيات عاريات .

وراء النعش قفص من حديد ، يسكنه الغرباء والحنفاء والمصلحون من بين المتهمين بإتباع الصراط المستقيم ، الشيء الذي يزعج جنازة الإنسان ، ويقلق راحة العجل ، وينذر بمحق الأصنام ، فكان لزاما على الملإ أن يصنعوا قفص الإتهام ، ريثما يدفنوا جثة الإنسان ، ويفسحوا المجال للحيوان يفعل ما يريد ، ثم يناموا من عناء حفر القبر المتسع لإحتواء تابوت الإنسانية الفانية .

على سماء الجزيرة من شمالها لجنوبها ، ومن شرقها لغربها ، تخيم ظلمات بعضها فوق بعض ، وأشياع الجنازة لا يتابعون السير ؛ إذ على ضوء البرق إذا أضاء لهم مشوا فيه ، وكأن البشر في سكرة المحشر وهم غافلون .

ويحيط بقفص الحكماء والعلماء والحنفاء والمصلحين والأبرار أفواج ثرثارة من نوع غريب ، يشبهون المفكرين والأدباء والشعراء والفنانين ، حرفتهم صناعة زخرف القول ، وعرضه على الأسماع والأنظار ، كبضاعة رائجة مطلوبة من طرف التائهين ، والحائرين ، والضالين في أسواق المغفلين

المخلصين والجهلة ، ويصوغون بضاعتهم هذه في شكل غليون أو فواسير مشحونة بمخدرات " عقلانية " أو " تقدمية " أو " جلدية " أو " مادية " أو " مثالية " أو " رأسمالية " أو " إشتراكية " أو " شيوعية " أو " عنصرية " أو " نازية " أو " فوضوية " ، وهي أحب أنواع التدخين عند البعض ، أو " سريالية " أو " تشكيلية " أو " شخصانية " أو " وجودية " أو " قديانية " أو " بهائية " أو " تخريفية " أو " إعلامية " أو " إشهارية " أو " أزيائية " أو " طائفية " أو " حزبية " أو " جنسية " أو " زعيمية " أو " رئيسية " أو " إيديولوجية " أو " فلسفية " أو " إستعراضية " أو " إباحية " أو " علمانية " أو " ديمقراطية " أو " ترابية " أو " شعارية " أو " ضريحية لينينية " أو " تمثالية " أو " وثنية " أو " عجلية " أو " إقتصادية " أو " ماكيافيلية " أو " تزويرية " أو " متنبئية " أو " فرقية " أو " نحلية " أو " عصرنتية " أو " قومية " أو " أصالتية " أو " قومية " أو " ثقافية " أو " حضارية " .. وما لا يحصى من حلقات السلسلة التخديرية ، قصد نسيان الحق والعدل والإحسان والخير والجمال والتقوى والمكارم . الشيء الذي ضاقت به النفوس

درعـا ، ومجته الأذواق الفاسدة ، وسئمته رعونة الطباع ، وقصرت عن إدراكه العقول الضيقة ، والبصر الأعشى ، والنظر الأعمى ، المحجوب عن عالم الأسرار الخفية في الأرواح ، والظاهرة في الأكوان والنافذة المفعول .

وسرعان ما بدت الظلمات متلبدة تخرقها أسراب غربان ، يسمع نعيقها من كل جانب فوق رؤوس الموكب ، وكأنها جسمت سيئات البشر ، وأعمال المفسدين منهم على وجه الخصوص ، تنذر بما ينتظرهم من حساب وعقاب وكوارث في الدنيا قبل الآخرة .

غير أن شعاعا ساطعا من أنوار متلاحقة يبدد الظلمات ، ويستر بضيائه أسراب الغربان ، تتمثل فيه حملة العرش يستغفرون لأبطال الغربة الحكيمة ، وفرسان الثبات على المبدإ السامي الخالد الذي لا يدخله الباطل من بين يده ، ولا من خلفه المحفوظ حفظا ربانيا . وينتشر في قلوب المقربين ، يشهدونه في أعلى عليين ، كتابا مرقوما مبشرا أن الأرض يرثها العباد الصالحون بعد هلاك المفسدين المستكبرين .

وساعتها مرت الورقاء بهيجة الجوهر ، بديعة المظهر ، تتلألأ بأسرار الأسماء كلها في قلب آدم ، وفيض المحبة " العيسوية " الوضاءة على الشريعة " الموسوية "

والمجموعة المشمولة الشاملة في العلم النبوي ، حتى كأن الأكوان زاهرة بنور الحق ، لا يشهده إلا أهل النعمة من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وعلى رأسهم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ..

وظهر لحي بن يقظان في غفوته المباركة ، ورؤيته التي كانت له بمثابة الإشارة لأهل التأمل والفطنة واليقظة ، كأن صدره يعظم حجما ومعنى ، ليسع العوالم المحيطة به رغبة في إحتوائها ، وطمعا في إدراك كنهها ، وشوقا إلى إضفاء رداء الرحمة الواسعة عليها ، وكأن لسان حالها يرتل دعاء الغفران مرددا : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، وامتلأت في قول الرؤية في هذا الخطاب : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم » ، وعندئذ تجلى له رداء العظمة والرحمة التي وسعت كل شيء ، كما تجلى له رداء الكبرياء القاهرة لكل جبار عنيد ، أسرار الأسماء والصفات الجمالية يتخلل الأسماء والصفات الجلالية لتدبير الوجود والنصر الموعود .

وانتهت الغفوة بالحمد لرب العالمين الذي هو عند حي بن يقظان فاتحة الفاتحة ، عماد رحمانية الرحمان ورحيمية الرحيم .

قام من غفوته التي كانت لقلبه الفياض ، وعقله المسؤول ، ونفسه المطمئنة ، وروحه البصيرة ، غفوة الراحة والسكينة والتوفيق والإلهام والتنبيه والإشارة ، لأن يصدع المؤمن بما يؤمر مع الذين « قالوا ربنا الله ثم استقاموا » ، و استيقنوا « أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ولا يبالون .

وعندئذ زاده عزمه إيمانا بالمسافة ، بين قدرة الحق وطاقة العقل ، وتاقت نفسه شوقا إلى الجمع بين العقل والنقل لإكتمال إنسانية الفطرة ، لأنه رأى بعين البصيرة والتأمل أن الإستعدادات فضل من الحق ، وأن التعليم إكمال الدين وإتمام النعمة وعصمة العقل من الخطإ ، كما أن العقل نور يضيء الطريق ، لكشف الأسرار ، وإغتنام الأنوار لهداية البشر .

كان صادق الرؤيا في المنام ، وثاقب الفراسة في اليقظة لإمتلاء نفسه بالواحد الأحد ، وإعراضه عن الأغيار ومحبته للحق ، وإتصاله بالخلق نصحا وصدقا . فتحرك وجدانه ميلا إلى شهود النفس الواحدة في الأفراد المتفرقة في الأنفاس ، والظاهرة في الطرق المؤدية للنور بعدد هذه الأنفاس .

تعود على الحياة في جزيرته معزولا عن الجزر الأخرى

بالبحر من كل جانب ، وتمكنت صورة الجزيرة في مخيلته حتى تمثلت له الأرض بترابها قطعا قطعا ، كالنجوم والمياه مساحات متواصلة ، كأنها سماء زرقاء ، فراشا محيطا ..

وسرعان ما تصور الإنسان الغافل ، وكأنه جزيرة منفصلة عن غيرها ، لا صلة لها بغيرها ، ولا تآلف بين بعضها والبعض ..

كل إنسان جزيرة غريبة عن أمثالها ، كذلك كل نفس غافلة ، جزيرة مبتورة ، منقطعة انفصلت عن النفس الواحدة التي خلقت منها يوم أخذ الميثاق بين الحق والخلق بعدما « أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى » .

فلم يصبر حي بن يقظان ، وهو القلب الكبير على ما أصاب البشر من ضلال ، وما غطى عيون القلوب من غشاوة ، وما صرفهم عن أنفسهم المتفرقة ، وما أنساهم نفسهم الواحدة ، وما دهاهم عن ملتهم التي كانوا عليها . وكيف يستطيع صبرا ، وما الحياة إلا إستجابة لدعوة الحق إذا دعا الناس لما يحييهم بعد بلوغ الرسالة السماوية لحمل الأمانة في الأرض ، والمحافظة على أحسن تقويم والآيات البينات ، فانقلبوا أضل من الأنعام وهي مسبحة ، فصار

حـال الذين لا يؤمنون بالآخـرة ضـعـاف العـقـول ، « قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » ، « وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » .

سمع فوعى ، وعلم فتذكر أن المعنى العظيم ، المودع في الحمد فاتحة الفاتحة لا يتجلى للعقول ، ولا يسقي القلوب إلا بحمل الأمانة الرابطة بين السماء والأرض ، والرجوع إلى خضم الحياة بالعرق المتصبب ، والجهاد في سبيل الحق ، والخروج من الظلمات ، ونشر روح العدل والإحسان ، وطلب الغفران للقوم الذين لا يعلمون . تمثلت له الإنسانية مكبة على وجهها ، وتصور له الأدعياء منها يمشون مقلوبين وأيديهم تطأ الأرض ورؤوسهم إلى الأسفل ، متوجهين أسفل سافلين ، وهم يستهزئون من الأبرار والأخيار ، الذين يمشون سويا على صراط مستقيم . وأدرك أن القلوب مقفلة ، وأن عليها ما كانوا يكسبون ، وعقولهم ضاقت في قفص الذكاء الصناعي والتكنولوجي ، حتى اختلط الصانع بالمصنوع ، والعقل محض آلة كغيره من الماعون ، تغطيه غشاوة النسيان والعصيان والغفلة والنكران والغرور والكبر ، وهو في غمرة العصيان ، والعربة تجر الحصان ، والأسواق صاخبة تحبل بالحروب ، من جراء عقلية الحسابات المسيطرة ،

والتـوقـعـات الفـاسـدة ، والقطيـعـة بين السـمـاء والأرض ، وهيمنة روح المغضوب عليهم في اليابسة التي ظهرت نفسها يابسة من كل نعيم سماوي ، بكثرة جفاف الصدور من غيث العرفان ، ولم يعد فيها من تقدم إلا في ميدان الجمادات مثل قلوب أصحابها ، والنباتات مثل نفوس أصحابها ، والحيوانات مثل عقلية أصحابها .

انحنى بقلبه يضيق صدره حرجا في هذا الجو الخانق من تقدم الآلات وتأخر النفوس ، كأنما يصعد في السماء ، واليقظان بعقله لا يستطيع الإنهزام ، والخمول ، والصمت ، والتواكل أمام هذه الأحوال ، وكأن النقمة في طيها نعمة ، وأن الشر في حكمة الرحمان ، كالسماد ضروري للإخصاب ، لكن رائحته كريهة . فكان جهل البشرية تنبيهاً لنبهائها ، وما هو مكروه من الأشياء ، ربما كان عونها على إحقاق الحق ونشر الخير .. ●

« إنسان المستقبل ، هو الإنسان القديم في أحسن تقويم . »

عودة حي بن يقظان

صحا صحوته الكبرى هذه المرة ، وكأنه تعلم النقل ما لم يجد به العقل ، تنفس الصعداء واعتبر الشرور من جملة الشدائد والصراعات التي كانت تواجهه في الغاب الطبيعي ، مع فارق شديد الوقع على النفس ؛ وهو براءة الغاب الطبيعي ، الذي كل مايجري فيه ، يهدف لحفظ التوازن في البيئة . في حين أن الغاب الإنساني يضيف إلى ذلك فسوق المترفين ، وتدمير المفسدين ، وجهل الأدعياء والمتنبئين ، وتخريب الأسرة بإفساد الرجل والمرأة

بإسم التحرير ، والإثم والعدوان ، من طرف المتسلطين من طغاة وبغاة وغزاة وغلاة ، وإنتشار الوهن بمحبة الدنيا ومخافة الموت عند القوم الفاسقين .

لكن الفطرة البريئة لاتحيى بعد سحابة الغفلة أو الذهول إلا بالصحوة ، وهي حياتها . ومن الفطرة بكامل إستعداداتها تحبل الأرض بالخيرات ، يزرعها ويسقي بذورها أولو العزم من الأبرار وصدورهم دروع لنبال الجاهلين ، وكل حليم كريم النفس يدعو بالغفران للقوم الذين لايعلمون .

هذه هي الصحوة ، صحوة الأخيار وقلبهم يفيض حبا للإنسانية ، لأنهم يبتهلون قائلين بالحق :

" اللهم أعنا على طاعتك ومحبتك في خدمة خلقك ، لأن جزاء الخير في فعل الخير ، وعقاب الشر في فعل الشر ، وما أقدم إنسان على الشر إلا لجهل الخير .

صحوة الأبرار لها غاية عظمى هي الإنسان الآدمي ، إنسان المستقبل ، السابق للخيرات ، المحافظ على أحسن تقويم ، صنع بديع السماوات والأرض ، ونور السماوات والأرض ، والمتجلي في الذي له علم من الكتاب ، والظاهر في عباد الرحمان ، والتابع لمن اكتملت فيه الصفات البشرية ، وارتقت فيه الحقائق والهادي إلى الفوز العظيم .

صحوة الإنسان الطاهر القلب ، الكريم النفس ، الطامح إلى أقصى الغايات من جميع الخيرات في الأرض ، وفي السماء، وفي الحياة ، وعند الممات ، وبعد الوفاة ، والجامع بين الوقت والخلود .

صحوة الإنسان المساهم في خلاص الإنسانية من دمار الحروب ، وجمود القلوب ، وموت النفوس ، وعمى البصائر ، وقلب الحقائق ، وتدهور الأوضاع وهلاك الأمم .

كانت صحوة حي بن يقظان من أحلام النوم ، وأحلام اليقظة ، مصحوبة بصحوته لما بلغته الرسالة ، وأدرك الفرق بين قدرة الحق وقدرة الخلق ، والمسافة بين علم المخلوق وعلم الخالق ، ونقصان المصنوع وكمال الصانع ، وعجز الإنسانية والرحمة الربانية ، كما أدرك النور الساطع عند إنسلاخ النبي من بشريته ، ليلتقي ماهو رحمة وشفاء للمؤمنين وللصادقين من العالمين .

ولما كانت صحوته مصاحبة لصحوة الإنسانية لظهور خير أمة أخرجت للناس ، امتلأت نفسه بنسيم هذه الصحوة الثلاثية ، فنهض متأملا ، مطرق الرأس ، وكأنه جبل شامخ يحمل الحكمة ، يتحرك بلطائف النوايا الخيرة .

الصحوة الكبرى بتجلي الحق في حياة جميع الحقائق ،

وظهوره في الباطن وبطونه في الظاهر ونشره للخير ، في نعيم الصادقين وإفراغ حلة الجمال على الصور والأقوال والأحوال والأفعال ، كما يتصور في إبتسامة الرضيع وبراءة الأطفال ، وعزم الأبطال ، ونور العلم ، وإخلاص الحنفاء ، وصفاء قلوب وطهارة النفوس الزكية وجهاد المخلصين .

الصحوة العامة التي ينتظرها الحنفاء من كل عصر متناقض بين مد وجزر ورجاء ويأس .

● الصحوة الكبرى للإنسانية

الصحوة وليدة فتنة الغفوة والسبات والغط في نوم الغفلة لأناس نيام وهم وقوف ، فإذا ماتوا استيقظوا ، أما الأبرار فإنهم يستيقظون في الدنيا .

تصورت الصحوة لحي بن يقظان إنبعاث الإنسانية من مرقدها ، خروجا من ظلمات الرذائل إلى نور الفضائل تدرجا في سلم الكمالات الحقية ، وإبتعادا وتطهيرا من مرض القلوب التي في الصدور ، وعلى رأسها الجهل المركب ، والكبر المغرور ، والوهن الأعمى ، والخوف من الأغيار ، والقلق من الغد الغائب .

ما خلقت الأرض إلا لسعادة أهلها ، لكن الإنسان خان

الأمانة ، فكان ظلوما جهولا ، غافلا عن النصيحة القائلة : " موتوا قبل أن تموتوا " .

إن سلم الإرتقاء إلى الإكتمال مسطور في الفطرة المخلوقة في أحسن تقويم ، والإخلال بالتدرج الصاعد ينطلق من مربع الجحود ، والعمل السيء ، وعصيان الحق ، وفقدان الصبر ، حتى آل إنسان العصر إلى الإحباط والخسر مريض القلب .

الصحوة هي الإنتقال من بهيمية مجتمع الإستهلاك إلى حياة آدمية القرية الآمنة ، المطمئنة ، السائرة صعودا في سلم الإرتقاء ظاهرا وباطنا ، يطعمهم الحق من جوع ، ويؤمنهم من خوف .

إن مدينة الإنتاج والإستهلاك شبيهة بمربط البقر ؛ حيث إنتاج اللبن وإستهلاك الهشيم ، فلا فرق هنالك بين البشر والبقر . وكل من يجرأ أن يصف مجتمعه بذلك اللقب ، فإنه لاعقل له ولاشعور له بالكرامة ، ولايدري شيئا عن قيمة الإنسان .

إن صحوة العدل والإحسان والكد والإنفاق ، تزكية وترقية الطيبات .

إن الصحوة الكبرى في أنحاء المعمورة ، إنطلاقة الروح

من قفص الجسد ، وربقة الهوى الضاري ، تحررا من القشور إلى اللباب ، ومن السطحية إلى العمق ، سعيا وراء تقديس الحق والروح ، وإحترام النفوس والمسخرات ولقمة العيش .

إن الصحوة هي الإنتقال من مستوى أسفل سافلين ، تدرجا إلى أعلى عليين ، بتقرب الخلق إلى الحق عن طريق كبح الأهواء ، وخسيس الشهوات ، ومنع الإستبداد ، وتكوين الأحرار ، والخوف من رداء الكبرياء الرباني .

إن الصحوة هي الإنتباه إلى ما يكنزه القلب من طاقات ، تتفجر بالطاعات ، وتتطهر من النواهي والمعاصي وسفالة المواقف ، لاتخضع إلا للحق .

إن الصحوة هي مشاهدة بديع نظام الأكوان ، تسخيرا لأمانة الإنسان بنظرة إلى الكون ، تجمع بين الظاهر والباطن ، والمعنى والمبنى ، والأرض والسماء ، والحلم والعلم ، والتدبير والإحسان ، والعمل والأخلاق ، والمادة والروح ، والقلب والعقل ، والنفس والجسد ، والفرد والجماعة ، والسياسة والدين الحق ، والمعقول والمنقول ، والتعليم و التربية ، والنوايا والإحسان ، والقوة والرحمة ، والموت والحياة .

إن الصحوة هي إحترام قوانين الوجود ، من خلق

وتسوية ، وتقدير وهداية ، وإستخلاف وتكليف ، ومسؤولية وتنظيم ، ونمو وجهاد ، وصراع وتدافع ، وسائر النواميس والسنن الكونية في عالم الظاهر وعالم الباطن ، وظاهر الباطن وباطن الظاهر .

إن الصحوة هي الإنتقال من حالة الإنسان المحتضر إلى آمال الإنسان المنتظر ، القائم على الإيمان بسائر شعبه ، والإستقامة بالأعمال الصالحة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

إن الصحوة هي تحطيم الجاهليات ، أو تقويض صرح المنكرات المحرمات ، وبناء صرح المعروف ، وتزكية النفوس وتطهير القلوب ، والمحافظة على العقل السليم والجسم السليم ، والعمران السليم والحكم السليم ، والعلم النافع ومكارم الأخلاق .

إن الصحوة هي الإستنارة بالإعتصام ، والتسلح بالقوة الإرادية والعقلية والخلقية والعلمية والروحية والدفاعية والربانية ، المستمدة من الصفات العليا والأسماء الحسنى ونور السماوات والأرض ، والإستعانة باسم الله القوي العزيز لخير الإنسانية ، دون إستثناء زماني أو مكاني أو عرقي أو لوني أو مذهبي ، إحتراما لحرية الإنسان في دائرة

الحكمة والصواب والعدل والإحسان .

إن الصحوة هي تحطيم ربقة الأنانية ، والغضب والضرار والبهتان والعدوان ، والتسلح بقوة الإرادة ، والحذر من إرادة القوة .

إن الصحوة هي بذل المجهود للدعوة والتبليغ في الداخل والخارج ، لإظهار الحق ودمغ الشر وتحطيم الباطل ، وإسعاد الكبير والصغير والقريب والبعيد ، والدعاء بالخير العميم حتى للعدو ، لعل الله يهديه إلى صراط مستقيم ، طلبا للغفران للذين لايعلمون .

إن الصحوة هي سلوك طريق الإكتمال مستنيرا بصورة الكمال البشري ، حيث ترقى الخصال الحميدة والأوصاف الحسنة ، حصولا على النفس المطمئنة الراضية المرضية .

إن الصحوة هي التحرر من جمود التقليد ، وظلمات الجهل ورعونة الطبع ، وجور الإستبداد ، والحذر من إسناد الأمر إلى غير أهله ، حتى لايكون النجار حدادا ، والخياط فقيها ، والفقيه مداحا ، والخراز بنّاء ، والبناء قائدا ، والجندي حاكما . فيفسد الحكم والدفاع معا ، وتبقى البلاد بلا حكم صحيح ، ولا دفاع مستقل ، مخلص ونزيه ، وتطغى القوة على الحق ، والجاهل على العالم ، والأحمق

على العاقل والمغامر على الحكيم .

إن الصحوة هي عهد العلم والنور ، والبناء والتشييد ، والتعمير والتنوير ، لحمل الأمانة العظمى والرسالة الطاهرة .

الصحوة هي إنقاذ النفس ، والعقل ، والقلب ، من القلق والضجر ، والحيرة والضلال ، والخوف والرعب ، والجور والإستعباد ، والغموض والضياع ، والفراغ المعنوي والخواء الروحي ، والخوف من المجهول في العاجل والآجل .

الصحوة هي باب العرفان ، ومفتاح الخيرات ، وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الحق .

الصحوة هي تحريم اليأس ونشر التفاؤل .

الصحوة هي حفظ كرامة الإنسان ، وأفضليته على كثير من المخلوقات .

الصحوة هي الوعي بإخلاص أنصار الحق ونفاق أعدائه ، وذلك بنصر الحرية على الإستعباد ، والعدل على الظلم ، والعلم على الجهل ، والحياء على الوقاحة ، والكرامة على الفحشاء ، والعزة على الذلة ، والشورى على الإستعباد ، والجد على اللعب ، والفائدة على اللغو ، والصواب على الخطإ ، والصفاء على الخوض في الماء العكر ، والضير

على بيع الضمائر ، والنزاهة على الإرشاد ، والصدق على الغش ، وحفظ العرض على مظاهر الفسوق ، ومكارم الأخلاق على رعونة الطبع ، والفضيلة على الرذيلة ، والإنصاف على الزور ، والبر على البغي ، والتقوى على الزيغ .

الصحوة هي تحرير الإنسان من القواطع ، والمنكرات والعبودية لغير الله ، والصعود بالتزكية من أسفل سافلين إلى أعلى عليين عن طريق شعب الإيمان.

الصحوة هي التوجه إلى منزلة الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، ولا المشركين ولا المذبذبين ، لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، ولا المنافقين والمغفلين والمتسلطين والمتطفلين .

● واردات

لماذا لايبقى الإنسان أفضل المخلوقات الأرضية ومن أفضل وأكرم المخلوقات الكونية ، في أحسن تقويم حاملا للنفخة القدسية والنفس الزكية ، سيد الكائنات الدنيوية ، لا يمزق النفس الواحدة ويجمع شمل الإنسانية ؟؟

لماذا لايفيض حبا ، ولايزخر علما ، ولايتلألأ فهما

ولايرفع راية الحق ؟

تلك خواطر جياشة هاجت وماجت في صدر رحب ، يطوي الأكوان في جنباته كمرآة للحقائق والأسرار ، قلب حي بن يقظان نموذج الإنسان المحفوظ من الحجب التي رد بها الإنسان أسفل سافلين ؛ إذ لم يجد الكبر والجهل والغرور له منفذا ، فكان كما يتمنى أن تكون عليه البشرية : قوة وعزما ، وثقابة ذهن ورباطة جأش ، وبراءة نوايا وصفاء ضمير ، وطهارة قلب ونور بصيرة ، ونظر بعيد وعقل عميق ، وجسم سليم وغريزة مسيرة وروح مخيرة .

كان بركان حب وبحر حكمة ، حب يفيض على شواطئ النفس ومناكب الجسم ، يزخر حتى في لمسة يد على جبين الأطفال ، وحكمة تحرسه من العجز والكسل ، ومن الهم والغم ، والطمع والهلع ، ومن الخوف من غير الحق ، في العزة والقوة ، والحول والطول والجبروت ، علما منه أنه لايغالب الحق إلا عنيد ، ولايعصيه إلا جاهل أبى واستكبر ، وقد جعلت له الأرض مرتعا ومتاعا وصولة ومسجدا .

لماذا هذا الإنسان لاتستهويه إلا الأشباح ، ويفر من ضياء الشمس ونور القمر إلى ظلمات الدجى ؟

ألم يأن له أن يخشع القلب لذكر الحق ؟

ألم يكن يكفيه أنه قد نسي الميثاق بين الحق والخلق ، ولم يجد الحق له عزما ؟

ألم يفتح القلب للإعتبار ، والبصيرة للإستبصار، والعقل للمسؤولية والروح للعروج ؟

المعرفة آلة وعتاد ، والعرفان أحوال ومقامات ، والحكمة فهم عن الحق ، والعلم تحقيق وتعرف ، والإلهام هداية وتنوير ، لتكوين الإنسان المتين ، العميق الغور والنظرة ، الرفيع القدر والمستوى ، البعيد النظر من العاجل والآجل ، الهادئ المظهر ، الصاخب الأعماق ، الصادق القول والعمل ، المطيع للحق في خدمة الخلق .

فلماذا ينحرف البشر عن جادة الطريق ويعشقون الأوهام كأنهم نائمون ؟

ما أجمل العقل عروس المعرفة ، والعرفان روضتها ، والقلب غيثها ، يسقي الأفهام بحسن الإستعداد ، ونزاهة المنطق ، وتفتح البصيرة ، وإنصاف الحكم ، وصبر الإمعان ، وتحكم في أهواء الذين « قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » .

ما أجمل القلب في نظره إلى محاسن الحقيقة الهيفاء ، حلتها بديعة ، ونواياها وخصالها سامية ، ومحصولاتها نافعة ، يعشقها أمراء البيان ، ويتغنى ببهائها أبطال

الأمانة ، وورثة الخلافة ، وجنود الحق .

ما أبهى القوة العادلة ، والكلمة الفاضلة ، والخيرات الحاصلة ، يجنيها أولو العزم من الأبرار والنعمة ، ويهملها أهل الضلال والنقمة ، ويحرفها المتطاولون على الأسماء الجلالية ، الغافلون عن الأسماء الجمالية ، متخذين إلههم هواهم ، يتبعهم كل من أبى واستكبر وستر الحق ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

الفلاح كل الفلاح في مسايرة الفطرة ، والمحافظة على أحسن تقويم ، والجمع بين المعرفة والعرفان ، والحكمة والعلم ، والرجاء لنسل آدم للهداية ، والنجاة من الخطإ والخسران ، والفوز من البداية بصواب الحكم ، وفي النهاية بالسعادة الشاملة .

كل قلب ينام على ضغينة سجين نفسه ، مشلول النشاط ، قاتم الصفحة ، يرجى له الصواب والغفران ، حتى يرجع إلى النفس الواحدة ولَمِّ الشمل مع الإنسانية من جديد .

كل قلب لايفيض حبا لهيمنة الخالق ، وصيانة المخلوق ، ونجاة الإنسان ، صحراء جرداء من الخير ، إلا أن يسترجع سلامته ، ويسقى بضياء شمس الإلهام ونور المعرفة العامة

وماء المدد السماوي .

النصيحة الكبرى هي إزالة الأوثان والأوهام والأهواء والأشباح ، تطهيرا للعقل والقلب والنفس ، وتحريرا للروح المشوقة لفردوسها المفقود والحية بدوام الحق القدوس ؛ إذ ضياع التقديس ينتهي بالتدنيس .

العقل نور في حدود القلب ، طلب بلا حدود ، والجمع بينهما حياة وحقيقة ، ومطلق وخلود بتكامل النسبة والإطلاق ، فالخير كل الخير في تظافر الجهود ، وتنبيه الغافلين وتعليم الناشئين عقلا ونقلا .

الفضل في طلب العلم لا في إدعائه ، والضلال في الغلو والتعسف .

نسيان الموت جهل بالحياة ، ودفن في المعاش ، نظرا لتمايز الأضداد ، فلا فهم إلا باستحضارهما معا ، ولا إستقامة إلا بهما معا ؛ إذ للحياة بداية وليس لها نهاية ، وما هي إلا إنتقال من الحياة الأرضية إلى الحياة البرزخية ، ثم الحياة الأخروية .

فالإيمان بالأرض والكفر بالآخرة ، رؤية عمياء مآلها التناقض والعبث .

وبينما حي بن يقظان في قبضة الخاطر يمر أمام ذهنه

شريط الواردات ؛ إذ تتراءى له طاقة أقوى من طاقة الذرات المتفجرة ، تحمل الأسماء كلها من سر الحروف إلى سلطان الكلمات ، حتى لايبقى للناس على الله حجة ، وحتى يقوم الذين يعلمون آخذين بأيدي الذين لايهتدون .

فعقد العزم على علم وشوق إلى حمى العاملين أن يلقي دلوه بين الدلاء ، وأن لايتأخر عن أداء واجب الإنسان نحو الإنسان ، وقد خلقوا من نفس واحدة ، فآلى على نفسه أن يعود إلى مدينة الغافلين الذين لايعلمون ، ليساهم مع الحنفاء في حمل الأمانة ، لإيقاظ الهمم وتوضيح المنن ، وإستلام الشعلة من السلف الصالح إلى الخلف الغافل ، ثباتا على المبدإ وتصحيحا للمفاهيم وتجديدا للقرائح .

تعلم حي بن يقظان بالحدس والبديهة ، والتجربة والتكرار ، والعقل والنقل ، أن المبادئ العليا سرمدية ، خالدة وثابتة ، وأن إدعاء الإبتكار غرور أو بدعة أو هما معا ، وأن ميزة العقلاء في كشف الموجود لا في خلق المفقود ، ولولا ثبات المبادئ لما كان هناك معيار واحد للإنسانية عبر الأزمان والأحقاب .

إن نفس الإنسانية واحدة ، ومنطق العقول واحد ، ولغة

القلوب واحدة ، ووواجب الوجود واحد ، والأخلاق والواجبات واحدة ، وهواء الإستنشاق واحد ، ودم الشرايين واحد ، والوظائف الجسمانية والنفسانية والعقلانية والروحانية واحدة ، والدين الحق واحد ، ونوع الهداية واحد ، ونوع الضلال واحد ، ولا إختلاف إلا بالبدع والبغي ، « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم » .

إن إنسان المستقبل هو الإنسان القديم في أحسن تقويم ، ولا ينكر وضوح النهار إلا الخفافيش الأدعياء ، ودهاة ذر الرماد في العيون بقلب الحقائق عندما تقلب العقول . فلابد من إرجاع المياه إلى مجاريها والأمور إلى نصابها .

حينئذ فاض القلب حبا وتفانيا في الحق الأعلى ، وخاطب صاحبه : " اركب سفينة النور والنجاة ، وشمر على السواعد « فاصدع بما تؤمر » ، ولا تكن من المخلفين " .

" إن الحياة الحقة إستجابة لدعوة الداعي إذا دعاك لما يحييك بالحقائق الكلية والحقائق الجزئية ، إحاطة بجوانب الوجود من جميع أطرافها وظروفها وحيثياتها .

" كن من السابقين المقربين ، وإلا ستبقى من المتخلفين

القدماء والجدد على السواء ، في تعاسة عبيد الدرهم والدينار والبؤس والشقاء والفتن والحروب .

إن الأرض ثكلى في أشد الشوق إلى ذرية حسنة تباهي بهم الأكوان ، « فاصدع بما تؤمر » ، وكن من أولي العزم . ●

« مهمة الإنسان هي نشر العدل ، وإحقاق الحق ، وتنوير القلب ، وصقل العقول ... »

نصيحة الشيطان

اجتمع شيخ الشياطين بأتباعه ذات ليلة حالكة ، في غابة سوداء وجو قاتم ، تلهبه نفس نارية كلها تحايل على غرار أحدث المؤتمرات الدولية . وقد فقدوا طهارة الفطرة ونور اليقين ، فقال لمجمع الشياطين من حوله :

" يا معشر الشياطين ، لكم البشرى في هذا العصر المظلم الذي ستمتد جاهليته عبر القرون ، كل يوم يرذلون إلا من اعتصم بالحق ، من خصومنا أهل الصلاح . لكم البشرى فستستريحون ، وسينوب عنكم بلا مقابل من هم اليوم مثلكم مكرا ، وأدهى حيلة وأمتن حبائل ، وأنكى

مخادعة ، باسم سراب الحرية والتقدم والنصيحة الكاذبة والعلمانية ؛ أي الجهلانية ، وقد باعوا ضمائرهم وقلوبهم للعجل والهوى ، « فباؤوا بغضب على غضب » ، أتعرفون من هم هؤلاء الأقوام الذين يخدمونكم وهم في غفلة عما يصنعون ؟ بل قد فاقوكم حنكة ومهارة ، فأصبحتم بالنسبة إليهم كالمتعلمين ، ترون منهم مالم يخطر ببالكم ، كأن الشيطان يتعلم من دهاء الإنسان .

فقام شويطن صغير يحسب نفسه عملاقا من عمالقة الجن الخبيث كدأب أشرار الخلق وقال :

" وهل تستطيع أن تسميهم لنا ؟ وهل من الإمكان أو حتى من الجائز أن يعلو علينا أحد ؟ "

فأجابه شيخ شياطين الجن بكل هدوء ووقار ، كأنه في " الأمم المتحدة " ، ترتسم على شفتيه إبتسامة الدبلوماسية الصفراء ، على وجه بني ، قاتم فوق لحية رقيقة كذنب الثعلب :

" يابني ، كنت أحسب البشر وحدهم يقعون في مثل هذه الهفوات ، ويرتكبون مثل هذه الأخطاء في الفهم والإدراك ، فها أنتم أولاء تظهرون أضعف منهم وأدنى مرتبة في صيد الضحايا وجلب البلايا والخطايا .

" إن الذين تبوأوا الصدراة في هذا العصر القصير النظر ، وأحرزوا على قصب السبق في المكر والخداع طواعية وهم جاحدون ، هم شياطين الإنس ، فلم تعد هناك حاجة لشياطين الجن ، الذين ربما قد دخلهم العجب مما يشاهدونه عند شياطين الإنس ، من خوض وتلاعب وإستهتار ، رغم صرامة الشيطان المدحور لهم : " إني بريء منك ، إني أخاف الله " ، وبالرغم أيضا من إخباره لهم أنه يرى ما لا يرون .

" يمكنكم مؤقتا أن تستريحوا ، أو تريحوا إخوانكم في باقي بقاع الأرض . لقد قمنا بما ينبغي فعله من إغواء ، ودربنا المغفلين المخلصين ، من بسطاء البشر على تخريب بيوتهم بأيديهم سواء خلقوا في رحاب الإيمان وعلى « أبصارهم غشاوة » ، أم في ديار المغضوب عليهم والضالين ، بل لم يبق هناك فرق بينهم . فكلهم يعبدون العجل والهوى والشهوات من دون الله ، ويتطاولون في البنيان ، ثم يشتكون من الكساد ، وارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة ، ويتشدقون بشعارات الحرية والديمقراطية ، وهم تحت ضغط السامري وسوط الإستبداد ، ونير الإستعباد ، وقيادة الأمة الغضبية المنجرفة من فرط سكر الإستكبار إلى

هاوية الفتنة والمتلاعبة بالعقول الضعيفة ، والقلوب المتقلبة ، والنفوس الأمارة ، فتغريهم بالمال الحرام ، وتدفع بهم إلى تخريب المرأة الذي يسمونه " تحرير المرأة " ، لهدم الأسرة ، وتكثير الطلاق ، وحرمان الصبيان ، فضلا عن تجارة الأعراض بما ينعتونه بالسياحة ، وكان أولى أن يقلبوا الياء فاء ، ويحرضونهم على التفنن في الإختراعات الطبية حتى يصبح البغاء مجانا ، وتختلط الأنساب ، وتندلع نيران الأزمات العائلية .

" إن نصيحتي لكم يا معشر الشياطين ، هو الهدوء والمراقبة . إننا تشبثنا بمبدئنا الموروث عن الشيطان الذي أزل آدم وحواء عن الجنة ، وأغوينا بعد ذلك الإنسانية بفقاقيع الحداثة والمعاصرة ، حتى ينكروا الثبات على المبدإ ، ونصحنا الأمة الغضبية بالبقاء متشبثة هي بدورها بمبدإ الإستكبار والترفع على باقي البشر ، بسائر المكايد وفنون المكر دائما في الخفاء مثلنا ، حتى يضربوا ويتباكوا في نفس الوقت ، ثم يضربون ويشتكون ثانية حيلة وخداعا ، وخيالهم نشوان بسراب حكم العالم ، وهم أيضا في غفلة أكثر من غيرهم عن الخسران المبين الذي ينتظرهم آخر المطاف .

" لم نترك صغيرا ولا كبيرا إلا أغويناه ، ما عدا من اعتصم بحبل الله المتين من العباد الصالحين ، لكن هؤلاء أصبح عدد منهم لا يستهان به ، ضحية العنف والجور والإستبداد في السجون على يد المتعاونين على الإثم والعدوان .

ولماذا يا معشر الشياطين كانت طبيعتكم شيطانية ؟؟

الجواب بسيط والأمر سهل ، لأنكم تعرفون الحق كما تعرفون أبناءكم ، وتعصونه ظلما وإستكبارا . وهذا هو بالضبط ما يخلق الجنس البشري في عصر الدعارة الملقب بعصر الحضارة ، حتى تفشى الإنحلال ، وكثر الخبث ونسي الإنسان نفسه ونحن راضون .

" فلماذا تتعبون أنفسكم ، وقد امتلأت الأرض بأمثالكم من الإنس ، اتركوهم يتناحرون ويذبحون بعضهم بعضا ، وذلك هو ربح تجارتكم .

" إن أخوف ما نخافه هو قيام أمة العلم الرباني المعصوم من الخطإ الذي هو العملة الرابحة في أيدي البشر، أمة الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا قامت هذه الأمة ، فلقد بارت تجارتنا ، واقرأوا السلام على مملكة الشياطين . وهذا ما لا يجوز التهاون فيه والتسامح فيه بأي

وجه من الوجوه .

" لقد جربناها في صدر الدعوة النورانية ، فانتشر الضياء وافتضح أمرنا ، وصرنا كالعجزة في ديارنا وكهوفنا ، جاثمين مهزومين لا نحرك ساكنا .

" فهل يقبل أحدكم الكرة الثانية ، وقد نجحنا في غصب الأولى في جاهليات متوالية أهمها ، جاهلية الأندلس وجاهلية أدعياء الحضارة والمدنية والرقي .

" وهل يرضى الشياطين أن يقهروا مرة أخرى كما وقع لهم في عصر النور ؟

ما كان لكم أن تغفلوا أو تتغافلوا مثلما يغفل الإنسان أو يتغافل ، نلهيه بفتنة الجاه والمال والبطن والفرج ، حتى لا يتحدث إلا عنهما في محافل الكلام والإعلام .

" إن عدونا الألد هو التوحيد ، وحليفنا الأكبر هو التشتيت ، ووسيلتنا العظمى هي التمزيق وكثرة الجدل الفارغ وشن الفتن وإيقاد النيران المتنوعة .

" إن راية الحق هي مبعث قلقنا ، لكن المثل الأعلى الذي هو لله وحده لم يعد إهتمام البشر ، فلقد دفنوه في قبر الإيديولوجيات ، وكفنوه بشبه العلوم الهزيلة التي يطلقون عليها " علوما إنسانية " ، ثم حنطوه بأوراق العملة

الصعبة ، و صلوا عليه في مساجدهم الجديدة ، التي تسمى بـ " المصارف " أو " البنوك " ، وشيعوه بالأغاني والرقصات ، وبنوه بالأفلام ونصبوا على قبره تمثال الكبر والغرور والطغيان ، وأحاطوه بشعارات كريهة الرائحة ، جميلة المنظر كشقائق النعمان ، تساعد على تخدير البسطاء وهم السواد الأعظم من ضحايانا .

" إن الشياطين لا تنجح إلا مع مرضى القلوب ، ولا تستخدم إلا ضعاف العقول ، فعليكم بهم أولا وقبل كل شيء ، منهم من أبى واستكبر ، وكان على طريقة إبليس ، ومنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة ، « قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » ، ومنهم أذناب شياطين الإنس يستعملون زخرف القول غرورا ، ومنهم هذا الجيش العرمرم من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وهم يعلمون أنه « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ، ومنهم من غلبته شهوة السيطرة ، فأنسته المقبرة ، ومنهم من استولى عليه الهوى ، فنسي العدل ، ومنهم من يوصي غيره أن يكون ذئبا قبل أن تأكله الذئاب ، فيضحى المجتمع قطيع ذئاب ليس فيهم إنسان ، زعما منهم أن الإنسان لا يمكن أن يكون إلا ذئبا لأخيه الإنسان ، ومنهم من يعبد شهوة الحكم وينسى الحق ،

فينساه الله وينسيه نفسه ، فيصبح ضائعا بين السعداء مبغوضا عند الرعية ، لا تطول أيامه إلا بالسوط الذي في يده ، ومنهم من يتطاول على كتاب الله ، وهذا منتهى البهتان الذي طالما تمنته الشياطين على أيدي الكافرين والمنافقين ، وقد خلقوا في أمة مؤمنة ، وترقص الشياطين معهم في مرقص الأغبياء ، لأن الشياطين كسائر المفسدين في الأرض تضرب عصفورين بحجرة، فتدفع المتسلطين إلى الهاوية لخسران الدنيا والآخرة معا . وساعتها يفرح أعداء أمة الإيمان بما فعله الأغبياء من أبنائها الذين تسميهم لغة الشياطين " المغفلون المخلصون " ، لأنهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الكافرين بالحق والعلم والإيمان والعدل .

" ومنهم الذي « ليطغى أن رآه استغنى »، فيعميه تلاعب المترفين عن أخلاق الموقنين ، ومنهم من جمع بين السيطرة والمال وإستبداد فرد أو حزب ، فتحول من التدبير إلى التدمير، وتغير المجتمع إلى عالم المعتقلات ، فيصبح المجتمع وكأنه سجن كبير تسكنه الخرفان ، وتحرسه الذئاب عند أهل الإستغلال اليميني ، وأهل الإستبداد اليساري والحق بينهما غريب .

" إن الأعمال البشرية على أنواع صالحة وطالحة قائمة

على النوايا :

- فإما حسن النية وحسن العمل ، كنصرة الحق بالحق لا بالباطل والجهل .

- وإما حسن النية وسوء الأعمال ، كالتهور والتسرع والغفلة والنسيان .

- وإما سوء النية وسوء الأعمال بمرض القلب وإعوجاج العقل ، وفساد العلم وفساد القصد، وبالضرر والضرار ، والتعسف والطغيان . وهذا ما يتسلح به الشياطين ، لأن الظالم يضر غيره ، ثم يهلك نفسه في الدنيا قبل الآخرة .

وأنتم يا معشر الشياطين ، تعلمون أن المعرفة والتعلم والخبرة لا تجدي نفعا وحدها ، ولا تكفي إذا كانت الأفعال تكذب الأقوال ، فلا بد أن تقنعوا المغفلين المخلصين والأغبياء المنافقين ، بأن الإنجازات والتكنولوجيات تغني الإنسان عن حسن الخلق ومكارم الخصال ، وأن الدين قد أكل عليه الدهر وشرب ، وأن الجدلية هي إله العصر، وأن العجل لابد من عبادته ، وأن يتخلق الإنسان بأخلاق العجول ، فيمشي على أربع بدوره ، وأن المدينة والإسطبل توأمان ، وأنه سيأتي يوم يترقى فيه الإسطبل إلى مستوى الإنسان بمقتضى خيالات التطور ، بل إن الآلة نفسها

ستصنع من " الروبو " إنسانا ، فيكون الروبو هو المثل الأعلى للإنسان ، ثم يختلط الحابل بالنابل ، فلا يبقى هناك فرق بين الإنسان والحيوان والروبو ، والجميع ينعق ويعوي ويصفر عبر أمواج الراديو والتلفزيون . ويكون هذا المجتمع المختلط عقلا وشكلا هو نموذج المستقبل ، وتكون غاية الشياطين هي إيهام المغفلين المخلصين أن المعاش هو الرقي ، وينسى الخاص والعام ، وأن مهمة الإنسان هي نشر العدل ، وإحقاق الحق ، وتنوير القلب ، وصقل العقول ، والرفع بالإنسانية إلى مستوى النورانية على مراحل الحياة الحقة لا المعاش الحيواني فحسب ، من إنقياد للغرائز غير المهذبة مثل حامليها .

" يا معشر الشياطين إن أكبر همكم على وجه الأرض هو ما ترونه اليوم ؛ من خراب النفوس البشرية عن طريق الهوى والشهوة ، حتى ينزل الدماغ البشري إلى وسواس البطن والفرج ، والخوف من الغد ، وسلوك الهوس المتخبط " . ولا يتأتى ذلك إلا بنشر الفوضى في الميادين المعاشية الثلاثة :

- فوضى في التفكير وضياع التفكر والتأمل ، فتكثر المعارف وتموت الحكمة .

- فوضى في الكلام صباح مساء ، من لغو شبه العلوم

إلى ثرثرة الإعلام .

ـ فوضى في الحركة في عصر السرعة والتخبط والتسلح والإرهاق والتوتر .

" وغايتكم مثل نهايتهم يا معشر الشياطين ، هي جلب الشقاء في الدنيا وفي الآخرة ، ووسائلكم واضحة بسيطة اشتركتم فيها مع شياطين الإنس :

ـ إبعاد كلام الله من التربية والتعليم مع المحافظة على قسط ضئيل منه حتى يتوهم المغفلون المخلصون ، بل وحتى المنافقون أنه ليس هناك تقصير في تعليم كلام الحق جل جلاله . وإياكم يا معشر الشياطين نسيان قول إبليس ، أنه بريء من أتباعه وأنه يخاف الله ولو دبلوماسيا .

ـ إقناع البشر بعدم وجود عالم الشياطين ، وأن إبليس ليس بموجود حتى تصل غفلة البشر إلى أقصاها ، فيتبختر المغفلون المخلصون والجهلة والمنافقون بأنهم أحاطوا بكل شيء علما ، وأنهم يترفعون عن الخرافات والأساطير .

ـ نعلمهم كيف يعصون الله ما أمرهم باسم التقدم والحرية والرقي ، ثم نقلب الأفهام إلى أوهام ، واليقينيات إلى شكوك .

ـ نضرب لهم أمثالا من حياة الحيوان زعما منهم أنها

حياة الفطرة ، فالخروف مع النعجة ، والجحش مع الآتان ، والرجل مع المرأة ، سواء في المسابح أو في الشوارع أو في البيوت أو في الإسطبل ، وهم إخوان أحباء في الحفلات الراقصة .

– تشجيع البرامج الفارغة ، ورحى الكلام من أجل الكلام في وسائل الإعلام المكتوبة والسمعية والبصرية حتى يتعود الآباء والأبناء على هدم ستار الحياء بينهم ، لأنه إذا ضاع الحياء ضاعت الأخلاق ، وبضياع الأخلاق تنحط الأمم ، وتنحل الشعوب ، وتتفسخ شخصيتها ، وتذبل زهرتها ، ويفوت شبابها ، وتضعف قدرتها على إحياء الرجل الفاضل والمرأة الفاضلة والأمة الفاضلة .

إن هذا النموذج من الأمم الكريمة هو عدو الشياطين ، فإذا قامت الأمة الفاضلة لم يبق للشياطين دور في الوجود ولا لسفرائهم مجال للعمل .

" يا معشر الشياطين في عنفوان شبابكم ، اسمعوا وعوا هذا القول .

" إن أخوف ما نخاف عودته إلى الوجود : هم أهل النعمة من أتباع النبيئين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين " .

" هؤلاء الأبرار وحفدة الأخيار ، لا ينجح معهم لا شيخ

الشـيـاطين ، ولا تـلامـذتـه النبـهـاء مـهـمـا كـانت ضـروب مكرهم ، وفنون كيدهم ، وألوان إغوائهم وأنواع إغرائهم .

إنهم " قـالوا ربنا الله ثم اسـتـقـامـوا " ، فنزلت عليـهم الملائكة أن لا تخـافـوا ولا تحزنوا وأصبح الشـيطان في حـيرة من أمرهم .

" فمـا العمل حتى لا تعود أمة الأبرار من جديد بسلاحـها الجـبـار ، القـائم على الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، والإيمان الراسخ الذي لا تـزحـزحـه جـيـوش الأرض كلـهـا ولو اجتمعوا له .

" هذا بعض مـا سـمعناه من بعض حكمـاء البشر يا معشر الشياطين .

" لم يبق لنا إلا مـا يـسميـه البشر بالعمل العلمي ، وهي كلمـة حـق أريـد بهـا باطـل ، لحبك الحيـل ، وإتقان الإغـواء واقعيا ، بل يقول حكماؤهم :

"إن كلمـة الحق هي الفكرة الصـائبـة ، والبـاطل والشـر هو سوء المعرفة مع سوء النية على علم وفساد القصد والغاية ، وهو تدمـيـر الإنسـان ، ومنع الأمـة الفـاضلة من العـودة إلى الوجـود ، لأنـنا شـاهدناها مـرات ومـرات عـبـر التـاريخ ، فـرأيناها بإيمانهـا تجوب الأمـصـار ، وتكتـسح المعـمـورة من

مشارقها ومغاربها في لمح بصر لإظهار الحق . هذا ما نسمع من حكمائهم ، فما علينا إلا إتباع ما يظهر جليا أيام إنحطاط الأمم ، فإننا نشاهد ساعتها أمورا كثيرة منها :

– ظهور المفسدين في الأرض وسيطرتهم على أغلب العواصم الكبرى بشتى الوسائل كالمال والإعلام .

– المال الذي لا يجمع إلا بشح أو حرام أو غصب أو إحتكار أو حيل معسولة أو تعسف أو شراء الضمائر ، ثم تهديد ضحاياه بالفضيحة إذا عصى أمر المفسدين في الأرض .

– الإعلام بتعمية الإعلام وإعلام التعمية ، على شكل علم اللغو والتخريب ، والزور والتجسس ، ونشر الفاحشة والتفريغ ، والتهديد ، وإفساد عقول الشباب والشابات بنشرات الخلاعة وصور المجون المرئية ، وتسميم الأسرة في عقر بيتها ، وتعويد النشء الفتي على إستحلاء الحرام وإستطابة المنكر ، فضلا عن تفريغ عقولهم من القدرة على التفكير والتفكر ، وتضييع أوقات الكسب العلمي ، كالمطالعة المفيدة والقيام بالواجبات الدينية والعلمية ، ونهك قواهم وصرفها عن التأمل ، حتى يغلبهم النعاس الحسي والمعنوي والشعوب في سبات وغفلة ، وهذا النوع

من الكلام أو الهراء يسمونه الإعلام ، حتى قال عنه بعضهم من العقلاء : إنه وباء الأنباء أو أزلام الإعلام . لأن سذاجة البسطاء تقول : " هذا حق ، لقد قرأته في الصحف " .

ـ السيطرة على دور التعليم من الروض إلى الجامعة ، لتوجيه النشء بحسب إرادة القوة والسيطرة ونشر الأفكار المغرضة تحت ستار العلوم التي يموهون عليها بلقب " الإنسانية " قصد طمس الحقيقة الربانية ؛ أي العلم المعصوم من الخطإ في كتاب محفوظ ، « لا يمسه إلا المطهرون » .

وبما أن المغفلين المخلصين أتباع المفسدين في الأرض ليسوا بمطهرين ، فقد جعل الله لهم أكنة أن يفقهوه ، وأبعدهم عن أسراره ، فلا يعلمه منهم أحد .

هذه حقيقة أولى يجهلها أهل العصر والشياطين في أشد الغبطة والفرح ، حتى لا يتكبدوا مزيدا من المشقة والعناء ، لصرف العقول والهمم عن نور الهداية والصواب الذي يمحو ما نقوم به من إغواء .

ثم السيطرة على الجامعة ، وبرامج التعليم تساعد على المزيد من العلمانية التي اختارها الشيطان مكان " الجهلانية " ، إمعانا في الإغواء وتخديرا للعقول ،

حتى لا يبقى أدنى أمل في جمع شمل الإنسان الذي شتته دهاء الشياطين بفصل الدين عن الدولة ، والروح عن الجسد ، والتربية عن التعليم والمعنى عن المبنى ، والكيف عن الكم ، والأخلاق عن السلوك ، والتقوى عن الحكم ، والشريعة عن الطريقة ، والإيمان عن العمل ، والحياء عن الأسرة ، والمراقبة عن الضمير ، والنزاهة عن الأغراض ، والسماء عن الأرض ، والأبناء عن الآباء ، والقدسية عن الوجود ، والذوق عن المعاش ، والحكمة عن التفكير، والعقل عن المخ ، والمنطق عن الأذهان ، والموت عن الحياة والآخرة عن الدنيا . فكانت العاقبة هي طمس البصيرة .

" لقد بذلنا الجهد لأن يكون هذا الفصل أصل المصائب والخبائث ، يذهب بسلامة الحياة وصفاء القلوب وإعتدال المزاج ورصانة السلوك ، ويقود إلى الفصام الإجتماعي ، حيث ينقلب المجتمع إلى مستشفى مجانين ، يصارع بعضه بعضا إلى حد سباق التسلح ...

" التعليم منبع الخير أو جذر من جذور البلاء ، وهذا النوع الوخيم هو ما يسيطر على كوكب الأرض ، إلى أن يأتي زلزال الحرب العالمية القادمة .

" يا معشر الشياطين ، إن ما يهم المفسدين في الأرض ،

من المغضوب عليهم ومن الضالين ومن المتسلطين والطغاة والعصاة والبغاة والغلاة ، هو هدم صورة إنسانية خلقت في أحسن تقويم ، ورسم صورة أخرى ردت أسفل سافلين ذات الأصل القردي ، والمذهب المعدي ، والغريزية الشبقية ، والنظرة النسبية ، والنفسية القلقة ، والفكرة العبثية ، والسلوك الإرهابي ، والمبدإ الماكياڤيلي ، والنزعة الإستغلالية ، والخوف من الغد ، والنكد العام ، وكثرة الحركة مع قلة الفائدة ، وتكاثر الإحتجاجات والكماليات ، والإنتقال من الفراش إلى الشغل أو البطالة ، ومنه إلى المطعم قل أو كثر ، ومنه إلى الفراش ، ومنه إلى الشغل من جديد ، ثم الأكل ، ثم الفراش ، ثم التراب إلى الأبد على شكل عظام نخرة ، في إضطراب ودوامة ، ودوران مستمر . وبواسطة التعليم الفاسد حيث تكثر المعلومات ، ويضعف التفكر والتأمل ، وتضيع الحكمة ، وعمق النظرة ونور البصيرة ، تخرج الوثنية القديمة والجديدة من أوكارها ، وتندلع نيرانها الظلمانية ، لهيبها كدخان محرق ، ظلمات جهنمية بعضها فوق بعض .

يغيب التوحيد في أدغال الأصنام ، من فرق وطوائف قديمة وجديدة خصوصا التثليث الحديث من :

- " آلهة وأبطال وإنسان " .
- ومن : " أوثان وخوارق وعلوم " .
- ومن : " موضوع ونقيض ومركب " .
- ومن : " بيان وعرفان وبرهان " .

وما إلى ذلك من الأعاجيب والمغريات مثل عبارة : " الفكر الغدوي " ، كأنه يقابل أعجوبة أخرى يمكن أن تسمى : " الفكر البارحي " أو " الفكر الأمسي " .

وما عمل الشيطان في إغواء أدباء الإنسان إلا إيهام النفوس بضرورة الإبتكار ، كأنه ليس هناك حقيقة مطلقة خالدة ، يرتاح لها ضمير الإنسانية ، وهو ما يسعى إليه العصر المظلم من غابر الأزمان إلى اليوم .

" أيها الشياطين ، إن الغاية القصوى من كل ذلك ، هو خراب العقيدة وظلام النفوس ، وحيرة العقول وضياع العقلانية الصادقة باسم " العقلانية الجافة " ، وفساد القلوب من صفائها ، وسطحية التفكير وعدم الإستقرار الباطني والظاهري ، بمعونة أهل الظلم ضد أهل العدل ، وتغلب الفساق على أهل الصلاح وأهل الضلال ، والغضب على أهل الهدى والرشاد . هذا ما نوسوس به " .

أضف إلى ذلك ، الإنتاج الأدبي المتطفل على مائدة

الأفكار ، والمتعفن لإرضاء الأسواق الضالة والقلوب المريضة بـ " الفكر الحافي " ، كالخبز اليابس الذي تلتقطه القطط في أبواب المنازل المبذرة على عتبة العصر الفاسد ، السائر إلى الإنتحار .

" لا يهنأ بال الشياطين حتى يوسوسوا لبعض الأذهان مصطلحات غريبة الشكل ، تصبح شعارات عادية ، تلوكها الألسن وهي لا تدري لها معنى ، كالحضارة والثقافة والأصالة والمعاصرة . تقوم كضرب من الحشيش مقام كلمة الحق ، وكلمة باطل ، وكلمة علم ، وكلمة تقوى ، وإحسان وما يماثلها من المعاني الذهبية الساطعة والعميقة والبسيطة . وبهذا الخوض ينجح الشيطان في تدويخ الأذهان الضعيفة الممعنة في الغرور .

إن مجالات التعليم من أخصب الحقول لزرع الأوثان الجديدة ؛ " كالعقل والعقلانية " ، ريثما يخترعون مذهب " الرجل والرجلانية " ، و" كالإنسان والإنسانية " ، ريثما يؤلهون " الجن والجنية " ، و " العلم والعلمانية " ، ريثما ينغمرون في " الجهل والجهلانية " وهلم جرا .. متوجهين إلى عبادة العجل الذهبي والزعماء والسحرة والمشعوذين ، مما تعج به أسواق الدول الصناعية وغير

المصنعة على السواء ، لأن حكماء البشر يقولون : " إذا ضاع الإيمان بالحق حل محله الإيمان بالخرافات " .

- الأحزاب والنقابات والجمعيات السرية والعلنية وشبه المنظمات الظاهرة ، كأذيال الجماعات والعصابات الخفية مجال فسيح للإغواء والإغراء والإكراه والتهديد ، يرتاح إليها شياطين الجن ، كأدوات سائغة سهلة المنال ، لتدمير الحقيقة العليا ، والشعور بالتقديس ، والتأثير في سير الأمور على وجه الأرض ، وتشجيع عبادة الشيطان في ظلام الليل وراء ستار كثيف من الخفاء . وهل كان إشتقاق الشيطنة إلا من الخفاء خوفا من إفتضاح الباطل ؟

سيجتهد إبليس وشيعته في تمزيق رقعة الإنسانية ، باسم الحرية وتسرب الفجرة إلى صفوف المغفلين المخلصين ، حتى تتعدد الأحزاب والجمعيات والفئات والمنظمات ، لإيهامها بمشروعيتها وحقيتها ورسالتها ، لإنقاذ البشر من الضلال والباطل ، وتصور لهم التقليد الأعمى في صورة النور الساطع ، وتزرع بذور العداوة والبغضاء في قالب التضحية النزيهة . وغاية الشياطين في ذلك هو إستمرار التنازع والتناحر وإستغلال موقف البسطاء ، لهدم حقيقة الهدى والوحي الرباني حتى يبتعدوا عنه ، بل وحتى يسخروا منه

وسيتهزئوا به كيفما كان جمعهم ومستواهم وقيمتهم .
اسمعوا نصح حكمائهم لهم :

" منهم المترفون جذور البلاء الذين يعصون الله ما أمرهم كدأب الفاسقين ، فيحق عليهم القول ، فيدمرهم الله تدميرا .

ومنهم المغفلون المخلصون ، وهم أعز الناس وأقربهم إلى قلوب الشياطين المتلاعبين بهم كما يشاؤون ، وهم في غمرة من الإعجاب بالنفس والكبر والصلف ، وقد أحرزوا على قصب السبق في السطحية وبساطة التفكير ، يعلمون شيئا من المعارف الدنيوية ، وهم أجهل الناس بحياة الفكر ولغة العقول وأسرار النفس وذوق القلوب ، يغلب عليهم العناد والتعصب ويقودهم الهوى وشذوذ الطبع وحب الزعامة والصدارة ، فإذا وصلوا إلى كرسي الحكم شنقوا أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لإلجام صوت الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولإخراس دعوة البشير بنور الحق ، والنذير بعذاب الرب في الدنيا قبل الآخرة ، شأن من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، غير أنهم يتمادون في غيهم وهم في خوضهم يلعبون ، حتى يموتوا مهزومين في ساحة الوغى أو مبغوضين عند شعوبهم ، لأن ألسنة الخلق

أقلام الحق .

ومما يزيد في الطين بلة ، هو أن إسناد الأمر إلى غير أهله ، يخدم الشياطين الفرحين بما نالوا بمعونة بسطاء الإنس ، الذين يخسرون ضعفين وهم لا يشعرون ، يخسرون بتقليدهم أهل الضلال ، وهم دائما وأبدا في مؤخر الركب ، ويخسرون بظلمهم أهل الحقيقة والنعمة ، كي لا تقوم خير أمة أخرجت للناس ، ثم يكون المنتصر في آخر المطاف هم الشياطين وشيعتهم والمفسدون في الأرض من البشر .

لذلك لا ينبغي الفتور عن تقديم الشيطان نصيحته لمعشر الشياطين أن يعضوا على المغفلين المخلصين ، ومن تسرب إلى صفوفهم من جرذان إنتهازيين والمنافقين والضالين والمجانين ومرضى القلوب ، أن يعضوا عليهم بالنواجد وإلا ضاعت مهمة الشياطين على وجه الأرض .

" الصراع دائم بين من « أبى واستكبر وكان من الكافرين » ، لتقوم أمة الكفر والترفع ، وبين « من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » ، لتقوم خير أمة بشروطها الثلاثة وهي تسعى إلى خير البشرية ؛ وما باقي البشرية إلا كمجتمع النمل ، يرجو له الصالحون الهداية والصلاح ، ويتمنى له الشياطين أن لا يتعدى حدود الغريزة

العمياء شأن سائر الحشرات ، حتى تطغى عليه جماعة الذين « يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

" إن عصر الجاهلية الحديثة اجتمع فيه ما تفرق في غيره من الجاهليات القديمة .

" يا معشر الشياطين ، لقد نجح إبليس بالأمس في إشعال نار الفتن بين القبائل القديمة ، وها هو سائر في نفس الخطة بين القبائل الجديدة ، التي تسمى : الأحزاب والمنظمات السياسية والعشائر العنصرية وغيرها من الفئات العلنية والسرية وشبه السرية والفرق الشبه الدينية .

إن إستمرارها حيوي بالنسبة لمهمة الشياطين المتدربين ، بل والمحنكين حتى ينجحوا في إمتحاناتهم . إن كل مغفل يتصدر للزعامة بغير علم ، سيكون من أعوانهم وهو لايشعر . فاغتنموا الفرص وكونوا من القناصين ؛ فإذا كان الشيطان المتدرب أعمى ، فسنختار له من الإنس أعمى القلب ، وإذا كان مقعدا ، فسنجد له من الإنس مقعدا يترأس ، فيتسلح لدوره ويدخل في حرب عالمية . وإذا كان الشيطان المتدرب أعور ، سنبعث له من الإنس أعور مثله ، يتهم غيره من المهزومين بأنهم لا يقرأون ويستخف بهم ويضر

بهم كيف يشاء . وإذا كان قصير اليد ، فسيكون قرينا لمثله وهو طاغية يقتل الأرواح ولا يبالي . وإذا كان من مجانين الشياطين ، سنرسله إلى مجنون أسود ، ينقلب إمبراطورا بعدما كان من أبسط الجنود الميسرين وهكذا دواليك .. لكن العاهات العقلية أشد خطرا وضررا ، فكونوا لها بالمرصاد، واقتنصوا هذا النوع من المعوقين لتدفعوا بهم إلى الصدارة ، وفي أيديهم كتب ملونة يخرجون الكلم عن بعض مواضعه ، ويعبثون بالمعتقدات والعبادات ، ويسفكون دماء الأبرار والأبرياء .

إن الرابح المؤقت أمام هؤلاء المعوقين هم المفسدون في الأرض ، إلى أن يقتص الحكيم الخبير ، الذي له ملك السماوات والأرض من الجميع ، ويعاقبهم أشد العقاب ، ونحن نتبرأ منهم كما هي العادة .

لقد أخبرهم الشيطان بأنه يرى ما لا يرون ، وأنه بريء منهم منذ زمان بعيد، ورغم هذا الإخبار ، فإن الفتور لا يدخل مجتمع الشياطين ، حتى لا يستيقظ البشر من سباتهم ، وحتى لا تقوم نواة أمة العلم والحق والعدل ، فتبور تجارة الشياطين وتحبط أعمالهم . إن العالم اليوم في شقاء بين جائر وثائر . ●

« كـان ولم يزل بمثابة مـدرسـة ، لم تعرف سـجـلات الإحصـاءات الوطنية عدد منـتـمـيـها . »

الطبيب والفيلسوف المناضل

بقلم : د . المهدي المنجرة*

تعرفت على الدكتور المهدي بن عبود في نونبر 1951 ، في ميناء نيويورك لدى وصوله على متن باخرة « الإستقلال / S.S. Independance » الأمريكية ، وهذا لقب كان يحمل معه دلالة بالنسبة لشخص أحدث مكتبا لـ "حزب الإستقلال " بالولايات المتحدة الأمريكية . لقد كنت واعيا تمام الوعي بالإمتياز الذي غمرني آنذاك ، بصفتي أول طالب مغربي بذلك البلد ، ولم تزْدَدْ قوة إحترامي

* خبير مستقبلي وأستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط

وتقديري للرجل وصداقتي معه إلا متانة عبر السنين ، وكان أكثر من صديق أو أستاذ . فقد كان ولم يزل بمثابة مدرسة ، لم تعرف سجلات الإحصاءات الوطنية عدد منتميها .

يعد الدكتور ابن عبود اليوم مؤسسة بالنسبة لأولئك الذين ما فتئوا يولون أهمية للضمير المحرك للحياة والإيمان بالله ، والذي يعتبر نهاية للكون ذاته . ومن هنا تنبع روح هذا العالم الطبيب النضالية ، روح لا هوادة فيها ، وينبع إلتزامه الصامد للدفاع عن كرامة الإنسان . إنه سلوك مثالي قبل إستقلال بلد أعطى من أجله بكثير من نكران الذات ، بل وحتى بعد الإستقلال ، والشواهد على ذلك مرسومة في ذاكرة الشعب ، ذاكرة لا تقبل التزوير .

والرجل ذو المنهجية الواضحة والتفكير السليم أيضا ، ذو فكر نظري ثاقب ، فكر لا ينفصل فيه بحث المعرفة عن الشروط الأخلاقية ، والطموحات الروحية ، والطرق الهادفة إلى تحسين وضعية البشرية . وهكذا بدا له من الطبيعي أن يُعرَّف بوظيفة رئيس مكتب " تحرير المغرب " لدى الحكومة الأمريكية وهيأة الأمم المتحدة ، دون إهمال الجانب المهني ، وذلك عن طريق تعميق خبرته الطبية ، والتخفيف من آلام المرضى بالشغف المعهود فيه . وقد كان كل من الهدفين

حسب رأيه يساهم في تحقيق غاية واحدة ، أي تسخير العلم للدفاع عن الكرامة بضمير مطمئن .

ويكمن إنسجام آخر عند الدكتور ابن عبود في إندماج يكاد أن يكون كاملا ، بين إنشغالات المختص في العلوم البحثة من جهة ، وميل شغوف لا متناهي نحو العلوم الإنسانية والإجتماعية من جهة أخرى . ولم يكن هذا التوازن نتيجة مصادفة ، بل إنه تجسيد ملموس لمشاركة واسعة في شتى الميادين ، إلى جانب ملكة لغوية ، بتمكنه من العربية والفرنسية والإنجليزية ، مما سهل عليه تراكم معلومات كبيرة دون اللجوء إلى الترجمات . كما يمتاز بظاهرة قلما تتوفر لدى غيره ، ألا وهي معرفته الدقيقة بالكتب السماوية ، وكذا « الكتب الصفراء » ، إضافة إلى إطلاعه الواسع على تفاسير القرآن الكريم . وأوضح دليل على ذلك ، يقدمه طلبة كلية الآداب بالرباط ، والذين يدينون للسمات العلمية والتعليمية للمربي ، المتفتح بمتابعة محاضراته في علم النفس والفكر الإسلامي .

في عهد يقال عنه ، إنه عهد « عَولَمة » ليست سوى وسيلة تنميط جميع أنظمة القيم ، وإبراز نموذج تفكير موحد عن طريق إستعمار ثقافي ، وإرتزاق جديد لم ينحصر قط في

المتاجرة بالمواد، ولكن كذلك بالعقول والضمائر ، يسعدنا أن نسمع صوتا لا مراء في صدقه ونزاهته . إنه صوت يُطَمْئن أولئك الذين يقفون في وجه مساوئ إستلاب ثقافي ، تدبره عقول بسيطة . صوت ناتج بتواضعه عن تعلق متين بالمعرفة ، وتعاطف غير محدود مع كل ما خلقه الله . المعرفة بالنسبة للدكتور ابن عبود أداة عملية لمحاربة رواسب الجهل ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، بل إنها وسيلة تَعبُّد ، ولأنها مقدسة .

ويأتي النص الذي يقدمه لنا السي المهدي في هذا الكتاب في وقت جد مناسب ، حيث تجتاز البشرية أزمة أساسية في شتى المجالات ، وإنها أزمة خُلقية على الخصوص . إنها أزمة تؤدي إلى فقدان مصداقية معظم الأوساط المفروض فيها أن تساهم في حل مشاكل لم تزدد إلا تعقيدا . فمع عودة « حي بن يقظان » ، يعود بنا الدكتور ابن عبود إلى التقاليد العريقة ، التي ينتسب إليها ابن سينا وابن طفيل ، اللذان كتبا حول شخصية ابن يقظان الخيالية ، وكلاهما فيلسوفان طبيبان مثل كاتبنا ، وعالمان لم يميزا قط بين العلم والفلسفة ، مسلحان ضد أية جرأة لا صلة لها بالعلم .

وهكذا يأتي عمل الدكتور ابن عبود بمثابة تجديد للمعلومات في مجال ينقص فيه هذا الوعي ، ألا وهو المجال الذي يُفسح للخيال ، ويمنح السلطة الكاملة للمرح والتصورات . نعم ، إن للسي المهدي بن عبود نوعا من المرح المتطور الذي تستنير به ، وتسَنّ الميزات الفكرية والإنسانية . إن الله يحب المبتسمين ، والسلام . ●

محتويات الكتاب :

صفحة

- شعارنا الثقافي والإعلامي في محيط العمل والأسرة : «من أجل مجتمع مغربي قارئ ».
- الأعداد السابقة من «سلسلة شراع» ، توجد تحت الطلب بوكالة شراع لخدمات الإعلام والإتصال : (137 شارع ولي العهد ــ طنجة) .

- لطبع ونشر الكتب بشكل أنيق وتكلفة أقل ، « وكالة شراع » رهن الإشارة .

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 1 / مارس (1996) :

● المهدي المنجرة ـ « **حوار التواصل** »

العدد 2 / أبريل :

● م.ع . المساري ـ « **المغرب بأصوات متعددة** »

العدد 3 / ماي :

● عبد الجبار السحيمي ـ « **بخط اليد** »

العدد 4 / يونيو :

● مصطفى القرشاوي ـ « **قضايا راهنة** »

العدد 5 / يوليوز :

● نجيب العوفي ـ « **مساءلة الحداثة** »

العدد 6 / غشت :

● وكالة شراع ـ « **باهـي .. الصحـافي والمناضل** »

العدد 7 / سبتمبر :

● لحسن العسبي ـ « **اللذة والعنف** »

العدد 8 / أكتوبر :

● عبد الله كَنون ـ « **في اللغة والأدب** »

العدد 9 / نوفمبر :

● عبد الغني أبوالعزم ـ « **الثقافة والمجتمع المدني** »

العدد 10 / ديسمبر :

● قاسم الزهيري ـ « **قضايا وشجون** »

العدد 11 / يناير (1997) :

● العياشي أبو الشتاء ـ « **الباحة والسنديان** »

● إصدارات «سلسلة شراع» : 10 دراهم

العدد 12 / فبراير :

● عبد الرفيع جواهري - « **أصحاب السعادة** »

العدد 13 / مارس :

● حسن نجمي - « **الناس والسلطة** »

العدد 14 / ابريل :

● الطيب بوتبقالت - « **عبد الكريم الخطابي** »

العدد 15 / ماي :

● عبدالقادرالعلمي - « **هاجس التغيير الديمقراطي** »

العدد 16 / يونيو :

● المهدي بن عبود - « **عودة حي بن يقظان** »

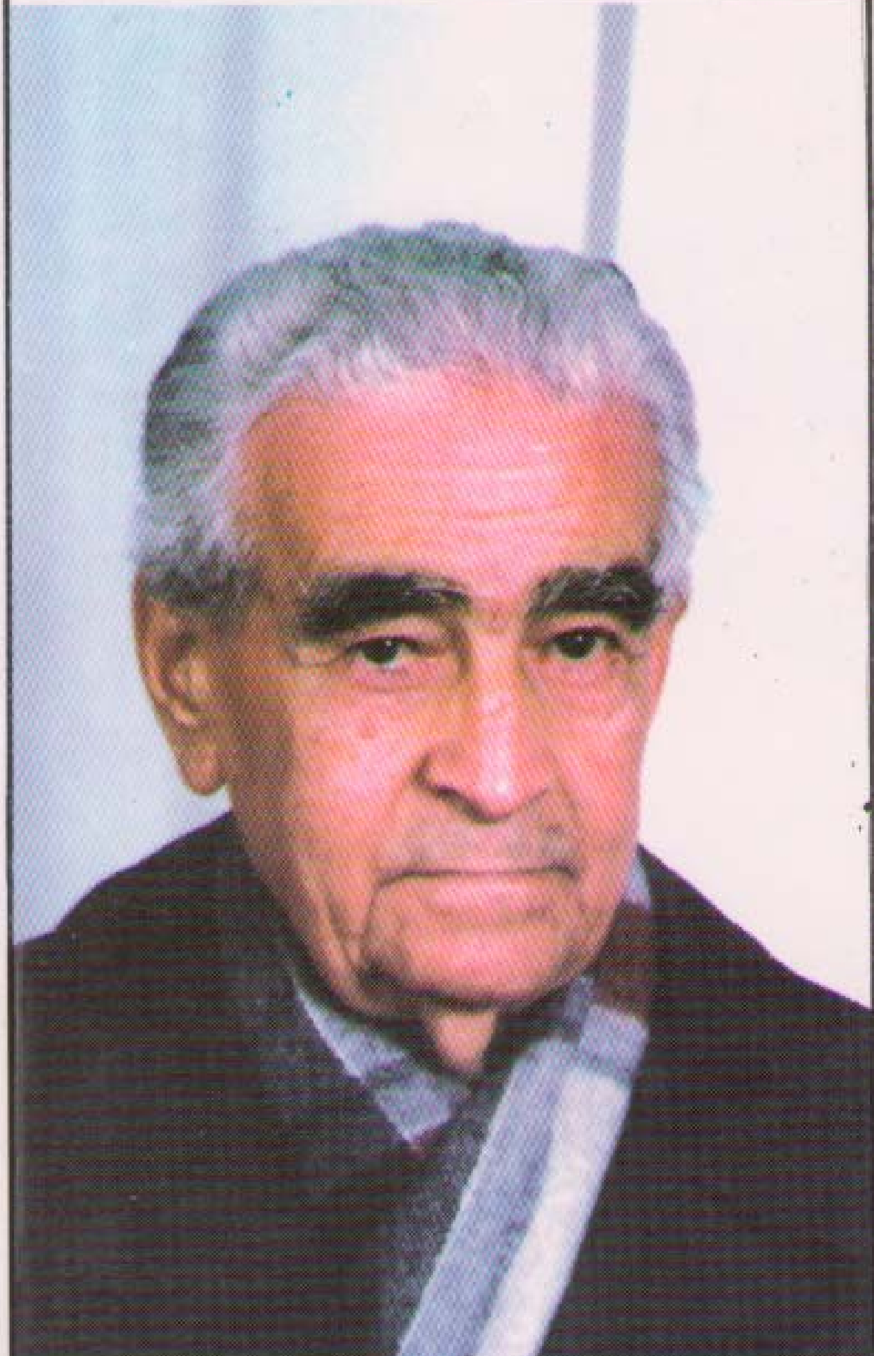
كـــتـــاب الشـــهـــر الـــقـــادم مـــن

« سلسلة شراع » :

أوهام المثقفين

محمد الدغومي

المؤلف



- العالم الطبيب المهدي بن عبود من مواليد مدينة سلا (1919) ، وما بين سلا والرباط تابع تعليمه الإبتدائي والثانوي ، ثم توجه إلى فرنسا لدراسة الطب بكلية مونبيليي وباريس .
- مارس الدكتور المهدي بن عبود مهنة الطب بالولايات المتحدة الأمريكية ، وترأس مكتب " حزب الإستقلال " للتنديد بالإستعمار الفرنسي والمطالبة باستقلال المغرب .
- إلتحق المهدي بن عبود بحركة المقاومة المسلحة عند تأسيسها سنة 1955 ، وبعد إستقلال المغرب ، تم إختياره كأول سفير بواشنطن . وعقب مشاركته في إضراب موظفي وزارة الخارجية ، عاد إلى المغرب وفتح عيادته الطبية بسلا والرباط .
- المفكر الإسلامي الدكتور المهدي بن عبود - أمد الله في عمره - أستاذ للفلسفة وعلم النفس بكلية الآداب - الرباط ، اشتهر بمحاضراته القيمة داخل وخارج المغرب .

خالد مشبال